محمّد صابر عبيد

حينَ يبوحُ البحرُ بالظمأ
.. فتغنّي النوارسُ

المحتويات

ـ صورة البوح بدلالة الوفاء
ـ ((قميص فلسطين... قميص الشعر)) رسالتي إلى الشاعر الكبير محمّد القيسي قبل وفاته
ـ ((دعك من هذا المزاح الثقيل واستيقظ)) رسالتي إلى الشاعر الكبير محمّد القيسي بعد وفاته
ـ الإهداءات الشخصية لكتب القيسي
ـ الرسائل الشخصية

صورةُ البوح بدلالة الوفاء

مضى على رحيل الشاعر العربيّ الفلسطينيّ الكبير محمّد القيسيّ اليوم أكثر من عشرة أعوام من دون أن يتذكّره أحد، وكأنّ الجميع بلا استثناء مرتاحون لرحيله ونسيانه وفقدانه من باب الوفاء العظيم الذي يتحلّى به زملاؤه الشعراء والمثقفون والنقاد، الأصدقاء منهم والأعداء، وحتى عشّاق شعره ونثره وشخصيته الإشكالية، أين هم؟

محمّد القيسيّ من أعظم الشعراء الغنائيين في الشعرية العربية الحديثة، وإذا كانت شخصيته الإشكالية ـ وقد كان يتحاشاها الجميع في حياته ـ مثيرة للجدل على مستويات عديدة، فلأنه شاعر كبير وإشكاليّ، وليس شاعراً خانعاً يبحث بمراوغة ونفاق عن الفرص كي يستغلّها، وينقر بلا وصوصة كما يقول المثل الشعبيّ، ولأنه يشهر نفسه كما يجب أن يشهر نفسه كلّ شاعر كبير لا يبالي سوى بشعريته وشاعريته وقصيدته، لا يحني رأسه في الخفاء أمام مكاسب صغيرة، وأوهام تافهة، ونجاحات مفبركة مزعومة، ومدعومة بإعلام شخصيّ مزيّن بهالة لا تتجاوز حدود الفايسبوك ووسائل التواصل الاجتماعيّ إذ بوسع الكثير افتعال ذلك، والتهويم بنجاحات محلية وإقليمية ودولية غير موجودة إلا على الورق، ولأنه شامخ أبداً مثل قامته، يصرّح بحبه مثلما يصرّح باستهانته ومقته وكرهه، ولأنّ حياته كلّها كانت في خدمه شعره، فمرحى للأصدقاء والأعداء ولأولئك الذين يتقلّبون في مواقفهم بين بين، وهم ينسون الكبير محمّد القيسيّ، أو يتناسونه، أو يغيّبونه قصداً، لأنه يقلقهم حتى وهو بعيد عنهم كلّ هذا البعد، غير أنّ شعره العظيم سيبقى شاهداً عليه وعليكم أبداً.

مثلما للشعر العظيم والسرد العظيم والتشكيل العظيم والفنّ العظيم رجاله، فللوفاء رجاله أيضاً، ومن لا يُحسنُ الوفاء العظيم لن يكون شاعراً أو سارداً أو تشكيلياً أو فناناً عظيماً مهما توهّم ذلك، فالحياة في أبسط معانيها الإنسانية الشفافة الرقيقة الوردية الناعمة الأليفة الحقيقية الأصيلة الجميلة هي وفاء، فكيف يمكن أن تنمو وتتشكّل بذور العظمة في أرض بور بلا وفاء؟

((قميص فلسطين... قميص الشعر))
رسالتي إلى الشاعر الكبير محمّد القيسيّ قبل وفاته

صديقي الكبير محمد القيسيّ...

وصلتني سياحاتك، انشغالاتك، مدنك الهائلة العمران، بساتينك الفاجعة الخضرة، بحارك المرهونة بالزرقة والماء وسماواتك الملفّعة بالضباب والمكتنزة بالبروق والرعود والوعود ...

للمرّة الأولى أشعر أنّ فلسطين قريبة منّي حدّ العناء وضيّق النَفَس .. للمرّة الأولى أشعر أنّ أصابعي مخضلّة بالندى الفلسطينيّ، وروحي مبلّلة بالخوف الفلسطينيّ، وقلبي المعدّ للحبّ وجسدي المنذور للمتع واللذائذ منقوع حتى كبريائه بالزيت والزعتر ...

ما هذا الغبار السحريّ الملوّن الذي لففتني به أيّها الفلسطينيّ الطائر.. أيّها الفلسطينيّ الفضاء، وما هذا الأمل الجبّار الذي لو أتيح لسكّان الكرة الأرضية أنْ يتشمّموا عطره المرّ الأخّاذ، لعزفوا النشيد الوطنيّ الفلسطينيّ وهم يقفون كالأشجار الفردوسية على رؤوس أصابعهم...

كيف تسنّى لك أن تحتمل قلباً بهذا الاتساع وهو يخزن في جوفه كلّ أمطار العالم وصواعقه وبراكينه ولغاته السريّة، وكيف تسنّى لتلك المطارات المتوتّرة أن تلتقط ـ بكلّ بلادة ـ قدميك الساخنتين من دون أن تتحوّل في لحظة خاطفة إلى رماد ... كيف ؟؟؟

لو كان حسن عبد الحميد حين جلب لي أعمالك الشعرية من عمّان يدرك أنه حمل إليّ في تلك الحقيبة البيضاء فلسطين كلّها، دماً وحضارةً وتربةً وأنبياء، لطالب اللهَ بكلّ وقاحة أن يحجز له قصراً في الجنّة استثناءً من كتاب المغفرة وقوانينه الصارمة النافذة ...

لم أكن أعرف أنّ خارطة فلسطين شعرية بهذا القدر الحارق، كما لم أعرف أبداً أنها خضراء لا تتوقف رواية خضرتها بهذا اللسان الضارب في فتنة السرد، أيّها القيسيّ المشرق بالأفق، وأنّ موقدك حضن البشرية ولهبك جنون الشمس حين تصبح على مرمى رمح من جسد الأرض ...

من أين لك كلّ هذا الدم اليوسفيّ لتنسج قميص فلسطين من أكتاف موسى إلى أصغر شاعر في غزّة يغلط حتى في الإملاء، من أين لك هذا الولع المعجون بأزيز الرصاص، وحنين الماضي، وأحلام السنابل، وهي تعالج باستسلام وريبة خطأ الجفاف، ومن أين لك كلّ هذا الزمن لترحل كلّ هذا الرحيل...

اغفر لي أيها القيسيّ السفير فأنا عاشق أزليّ لا يكفّ عن الغناء والحبّ والجنون واقتراف المعاصي، ولك أن تسأل أميرات الشفق اللواتي أتحوّل بين أيديهن طفلاً يلهو بكلّ ما هو متاح من المكعبات والشجيرات البريّة الواخزة ورغوة اللعاب المنتحر بالسكّر والعسل...

اغفر لي ارتباكي أيّها القيسيّ الطاعن في الندرة والبهاء إذ توغّلتُ في إيقاعك حدّ الخلاص المستحيل، وسافرتُ في أشجارك المعمّرة حدّ مشاركتها في صناعة الثمار والظلّ وشاعرية السموّ، ذلك لأنني أعرف تماماً كيف تقدح الروح في الكلمة عند أولئك الذين يحترفون خلق الأشياء الجميلة بأدق ما في المهارة من ذكاء، وأسمعُ نداء الأنوثة الطاغي على بُعد ألف ميل، وإذا كنت أخطئ ـ أنا الرجل الكثير الأخطاء حتماً ـ فإنني لم أعرف الخطأ ـ على الأقل حتى الآن ـ في شيئين .. الشعر والنساء ..

لا أدري إن كان الولوج في أعماق الظلمة بهذا التدافع الحرّ في بياض الورقة يصلح عربوناً لصداقة محتملة، يمكن أن ترتفع إلى أرقى مراتب الاختيار وأمضاها خطورة وعمقاً ؟
سنلتقي حتماً هنا أو هناك فمازلنا نختزن في حقائبنا الصغيرة مزيداً من الزمن والولع والأمنيات..

((دَعْكَ من هذا المزاح الثقيل .. واستيقظْ))

ـ رسالتي إلى الشاعر الكبير محمّد القيسي بعد وفاته ـ

(1)

في الحكايات ثمّة أبطالٌ يموتون، لكنّه بوسعنا دائماً ـ نحن المأخوذين بسحر السرد وفتنة الحكي ـ أن نقنع الحكواتيّ بتأجيل موت من نحب من هؤلاء الأبطال، أو إلغاء موتهم حين يتسنّى لنا إغراء الحكواتيّ بطبق حلوى أو علبة سيجاير، أو حين يكون الحكواتيّ ليّناً وعاطفيّاً سرعان ما يستجيب لتوسّلاتنا ..
لا شكّ في أنّ الحياة جميلة في الحكاية، ولاسيّما حين يكون بمقدورنا استرداد من نحبّ من أمواتنا ساعة نشاء، كما يكون بمستطاعنا أن نعدّل في المكان والزمان والحدث على النحو الذي يناسب أمزجتنا وتطلّعاتنا ورغباتنا الطفوليّة الجامحة.
لكنّنا ـ للأسف ـ كبرنا على الحكاية، فأَجْلتْنا عبّاراتها خارج الحدود، بعد أن جرّدتنا من ذلك المزاج النظيف والتطلّع البريء والرغبة الوادعة، وقذفتْ بنا على ساحل يتراكب فيه الحصى وتزدحم الأشواك ويتغيّر لون الماء.
وحين يستقرّ بنا المقام ويصبح ممكناً لنا أن نعاين حالنا ـ أو ما تبقّى منها ـ، نكتشف بغصّة كبيرة حجم الخديعة، فنهرع مصعوقين نخمش وجوه الجهات لتعيدنا إلى فردوسنا المفقود .. بلا جدوى ..
هكذا بكلّ بساطة تسرّحنا الحكاية من حديقة الحلم، فيبدأ مسلسل الفقدان يعرض خسائرنا الدامية على إيقاع أليم، يجفّف دموعنا، ويحجب دهشتنا، ولا يعيد إلينا أحبتنا الراحلين.

(2)

كيف لي أنْ أعيدك أيّها القيسيّ لأموّنك بكثير الكلام، فالحديث بيننا لمّا ينته بعدُ، وهو ما زال على سخونته وطزاجته وحداثته ..
كيف تعدُني بالانتظار وتغيب هكذا فجأة قبل أن نلتقي .. يا حسرتي عليك يا محمّد .. يوم هاتفتُكَ في عمّان لأخبرك بوجودي، بادرتني على نحو ساحق ومدمّر قبل كلّ شيء بأنّ مؤنس الرزاز رحل، وأحمد المصلح رحل، كان صوتك مشحوناً ببحّة الرحيل ومختلجاً برعشة الموت، لكنّنا مع ذلك التقينا بكلّ ألق الحياة وبهجتها، وكأننا نعود على الرغم من أنف السنين إلى فضاء الحكاية.
وعلى نحو أكثر غرابة وشاعريّة التقينا مصادفة، أو مفارقة، في دمشق بعد خمسة أشهر من لقاء عمّان على هامش معرض دمشق الدوليّ للكتاب عام 2006م، وسلّمتني على الفور نسخة من ((أباريق البلّور)) ونسخة من ((الحديقة السريّة))، وشكوت لي من فيض الإبداع حيث تحوّل كلّ شيء لديك إلى كتابة،

فخفتُ من هذه الإشارة الفجائعيّة التي تلوّن قامة الماراثون الدمويّ المحموم بالمرايا، لاعتقال الزمن وقطع أقدامه الساعية بلا هوادة إلى شفق الغياب.

وحين خرجنا من نادي الصحفيين في ساعة متأخرة من ذلك الليل التشرينيّ الرائع، بصحبة صديقنا الثالث ((نادر السباعي))، نذرع شوارع دمشق، وحدنا، مع الحوار اللذيذ والنسيم العبق والوعد الجوّانيّ المشؤوم بالرحيل، كنت تودّعني وداعاً أخيراً ينقضُ اتفاقنا بالعيش الطويل والعمل على مشاريع مشتركة.

(3)

كلامك شعراً كان وحديثك حكاية، تروي ما تكتبه وتكتب ما ترويه برشاقة تخلط بين جسدك وقلمك، لم تكن سوى كائن أسطوريّ معدّ لكتابة العشق وعشق الكتابة، حيث تدرك على لسان مولاك ((إنّ أقربكم إليّ العشاق)).

وحين كنت أتساءل عن سرّ فيضك الإبداعيّ لم أكن أدرك هذه الحقيقة، وحين أدركتها جيداً عجبتُ من أنّك كيف لا تنتج ديواناً شعريّاً كلّ شهر، وعجبتُ من قدرة هذا الكيان الرقيق المموسق على احتواء كرنفال من البراكين المتفجرة شعراً وحكايات، كما عجبت أيضاً كيف أنّ الحياة تساهلت معك إلى هذا الحدّ، وتركتك تغمسُ رأسَها في طين الحكاية، وتغرّر بطيورها الخرافية لتحطّ على أشجار الحلم بدلاً من أشجار الصفصاف؟

(4)

ترى هل يحقّ للمغني الجوّال أن يكفّ عن غنائه وتجواله، ذلك الغناء الشجيّ الذي اخضلّت به الشوارع، واتّشحتْ به الأرصفة، وبدتْ فيه الأشجار أطول وأشدّ خضرة، والجبال أكبر وأعنف، والنساء أجمل وأخطر أنوثة ونضارة، وذلك التجوال الصوفيّ المرسوم بكلّ أناقة الزهد وزهد الأناقة بين مدن الواقع ومدن الحلم؟

وهل بوسع العشاق والمحبين من قبيلة الشعر الأصيل أن يكفّوا عن سماع الكونشيرتو، بلحنه الملائكيّ، وهو يسحر الأجساد قبل الأسماع، أو يتنازلوا عن رايتهم التي ركزتها لهم في الريح قبل عقود لا تحصى من السنين، ويستغنوا بفضاضة عن إشراقة ((منمنمات أليسا)) وقد أضاءت ببريق الندى وجوهَهم العاشقة؟

لماذا كنت بخيلاً معنا ومخيبا لأحلامنا ولم تكمل حتى عامك الستين؟ .. هل أدركت بفطنتك الحسيّة أن الذي يبلغ الستين يغادر طفولته، فشئت أن تحتفظ بها لتقبلك ((حمدة)) بلهفة أمٍّ أسطوريّة ظلّت حاضرة وماثلة وعميقة في خيال طفلها الوحيد، الذي لعب مع الموت أكثر من لعبة، حتى باغته بفظاظة على نحو أنهى فيه اللعبة لكنه لم ينهِ الحكاية ؟

(5)

كنت كلّما قرأتُ شعرَكَ أضعُ كفّي على قصيدة ((منزل رقم 12)) في ديوان ((منازل في الأفق))، على أمل أن يكذّب نسياني نبوءَة رحيلك، لكنّه كان عليّ أن

أتيقن من أنّ الشعراء لا يكذبون كما هم الأنبياء والملائكة والمجاذيب، كان ((منزل رقم 12)) هو المنزل الذي صرّحت فيه بنبوءة رحيلك بكلّ قسوة الشعر ومرارة الحكاية:

لكم أحسُّ يا مولاي
أنّ العمر قصير
إذ كيف تكفي برهة عشرين سنة
هي ما تبقّى لي
في حقيبة يدها
لقول ما يختلج به كتابي
وما تضمّه الحنايا
منذ تشكّلت الأرض ،
وسوّى الله الأشياء ،
وأعدّ ناسها
وقال لهم : تعارفوا ،
إنّ أقربكم إليّ العشاق
فآهٍ يا مولاي ،
لكم أحسّ أيامي قصيرة
وكم يفوتني من المباهج
كم الأرض خضراء
خضراء ، خضراء ، خضراء ،
وموحشة

القصيدة مؤرّخة في 1983/9/14، والرحيل على ضفاف هذا التاريخ في 2003، لماذا لم يخطئ قلمك اللعين ويمدّ البرهة إلى أربعين أو حتى ثلاثين بدلاً من عشرين، أراهن أنّك لم تقل كلّ ما يختلج به كتابك من فيض الجمال، ولا كلّ ما تكتنزه الحنايا من طفولة عشقٍ ورغبة أخّاذة جامحة في الحياة.

ما أعظم هذه المناجاة العالية بينك وبين مولاك، وأنت تهمس له بمعرفتك النبويّة أنّ ((العمر قصير)) وأنّ أيّامك قصيرة، فهل كنت ترجوه أن يطيلها أكثر حتى لا تفوتك المباهج، وحتى تحاصرَ وحشةَ الحياة بخضرة باهرة من جهاتها الأربع؟

ماذا بشأن رسائلنا المتبادلة؟

وماذا بشأن كتابي ((تمظهرات التشكّل السير ذاتيّ)) الذي أكملته توّاً عن كتبك السير ذاتيّة؟ وماذا بشأن غبارك الفضّيّ المتناثر على هامات المنائر والكنائس والفنادق، من لندن إلى بغداد، ومن تونس إلى طهران، ومن فاس إلى عمّان، ومن القاهرة إلى رام الله؟ وماذا سيقول عنك أحمد دحبور وخيري منصور ومحمد الأسعد وآخرون لا أعرفهم؟ ومن سيهتمّ بقصائد يوسف أبو لوز وينقذها من بقع القهوة والخمر، ليخرجها إلى صباح الشعر بربطة عنق حريريّة باذخة؟ ومنْ، ومنْ، ومنْ؟ ؟

(6)

إرخِ سمعك أيها القيسيّ ..
أتدرِي ماذا أسمعُ الآن: ..
سربٌ من الآيائل يقتحمُ
جنونَ التفّاح
فينطلقُ صهيلٌ ورديّ ..
يقوّضُ زجاجَ الصمت ،
ويهشّمُ التماعات السيوف ،
ويثقبُ غرورَ القصائد ،
يهتف باسمك برقاً
يفترعُ الريحَ
ويلوّنُ السماوات بآلاف أقواس القزح ،
ثمّ يفتحُ المدنَ
والطرقات
والمقاهي
والمطارات ،
وينزع عن الحكايات أسمالها :
صائحاً بكلّ مرارة الفقدان
وفرح الوهم
ودمع الدعاء:
دَعْكَ من هذا المزاح الثقيل .. .. واستيقظْ ..

إهداءات الكتب

- إهداء الأعمال الشعرية
- إهداء منمنمات أليسا
- إهداء الحديقة السريّة
- إهداء أباريق البلّور
- الرسالة المرفقة مع الأيقونات والكونشيرتو
- الأيقونات والكونشيرتو

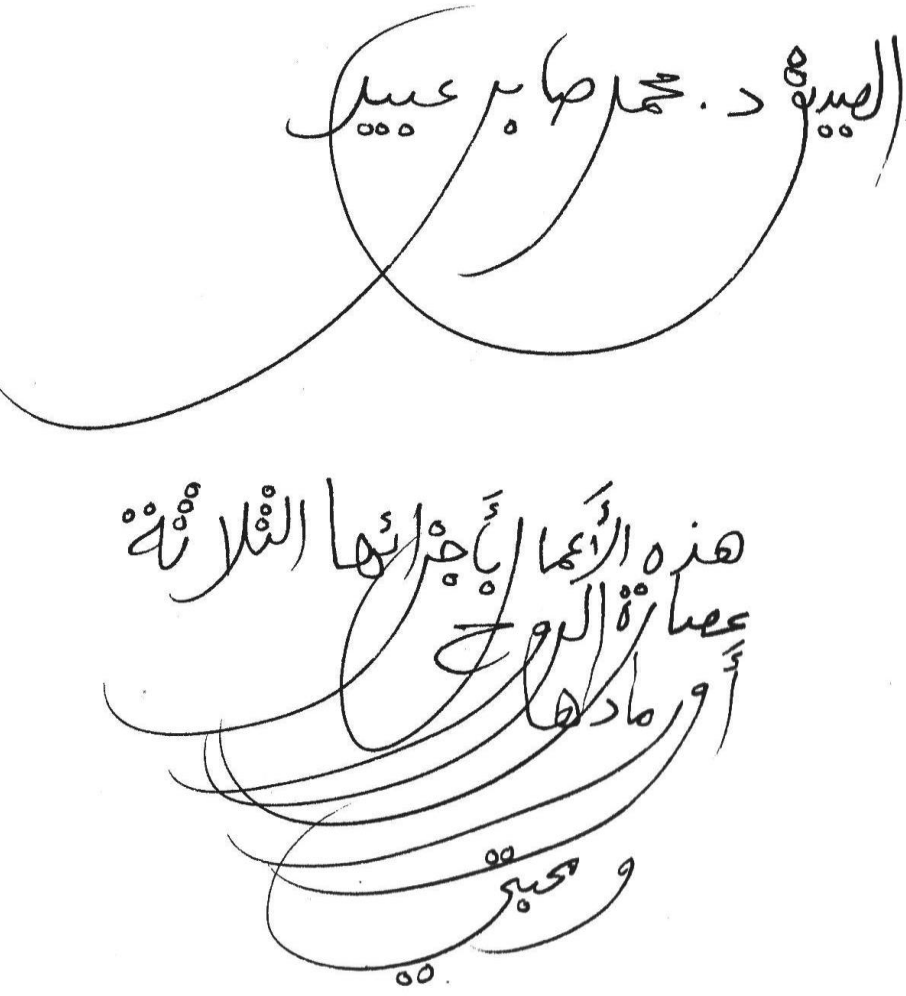

عمان - ١٨ / ٤ / ١٩٩٩

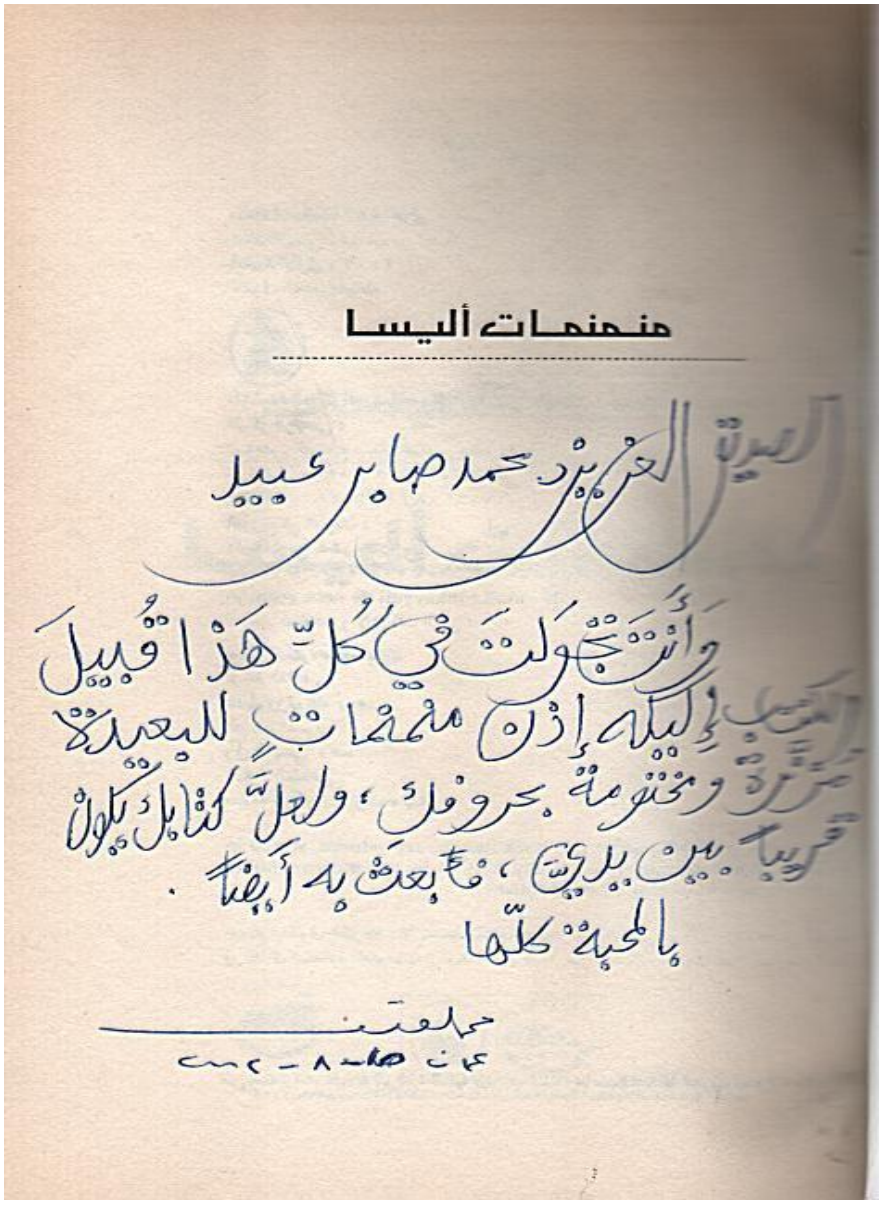
منمنمات أليسا

السيدة العزيزة محمد صابر عبيد

وأنت تجولت في كل هذا القبيل
الكتيب الليلة إذن منمنمات للبعيدة
قصيرة ومختزمة بحروف، ولعل كتابك يكون
قريباً بين يديّ، فأبعث به أيضاً.
بالمحبة كلها

حمله عتف
عمان ٨-١٠-٢٠٠٣

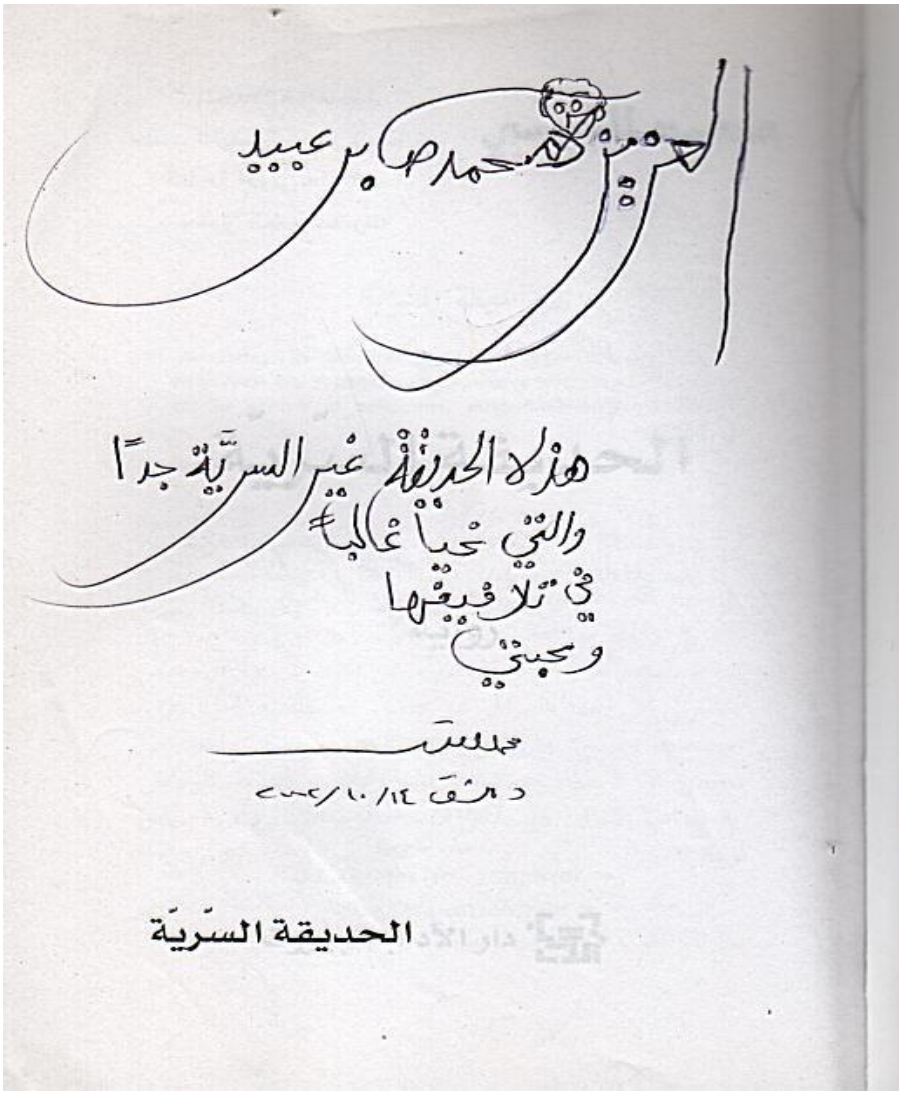

الحديقة السرّية

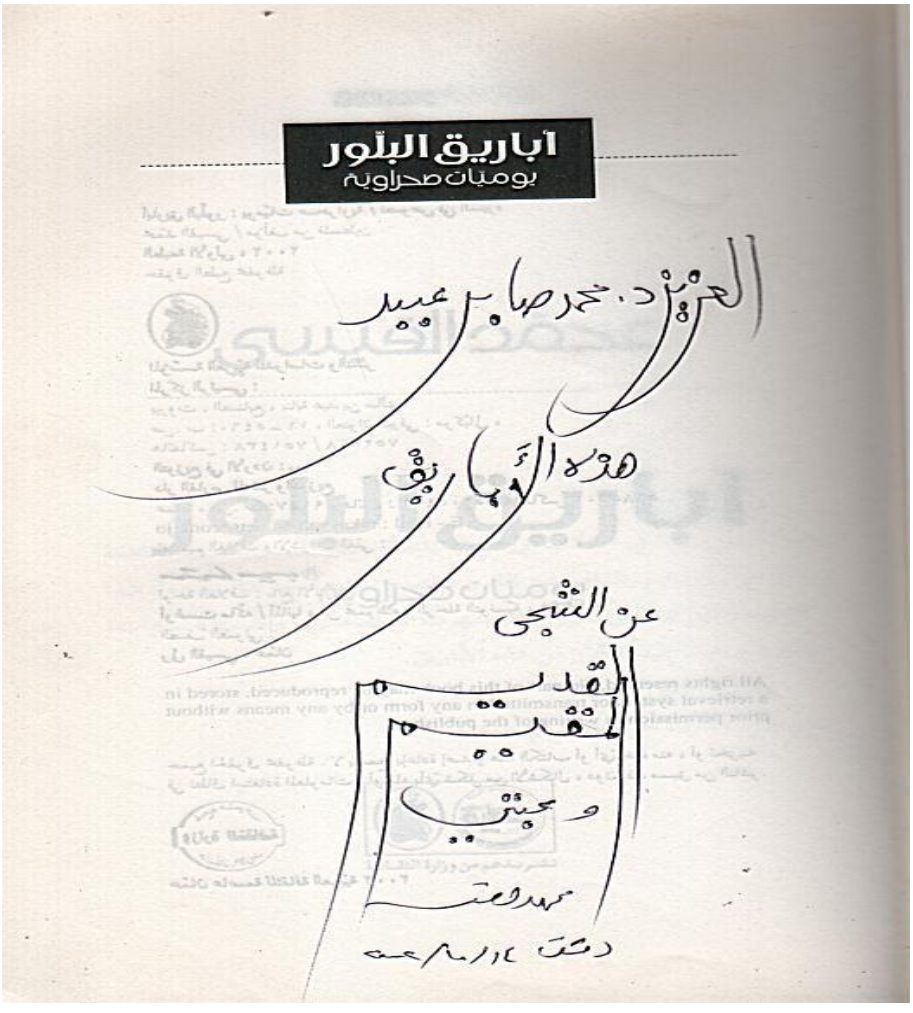
أباريق البلّور
يوميات صحراوية

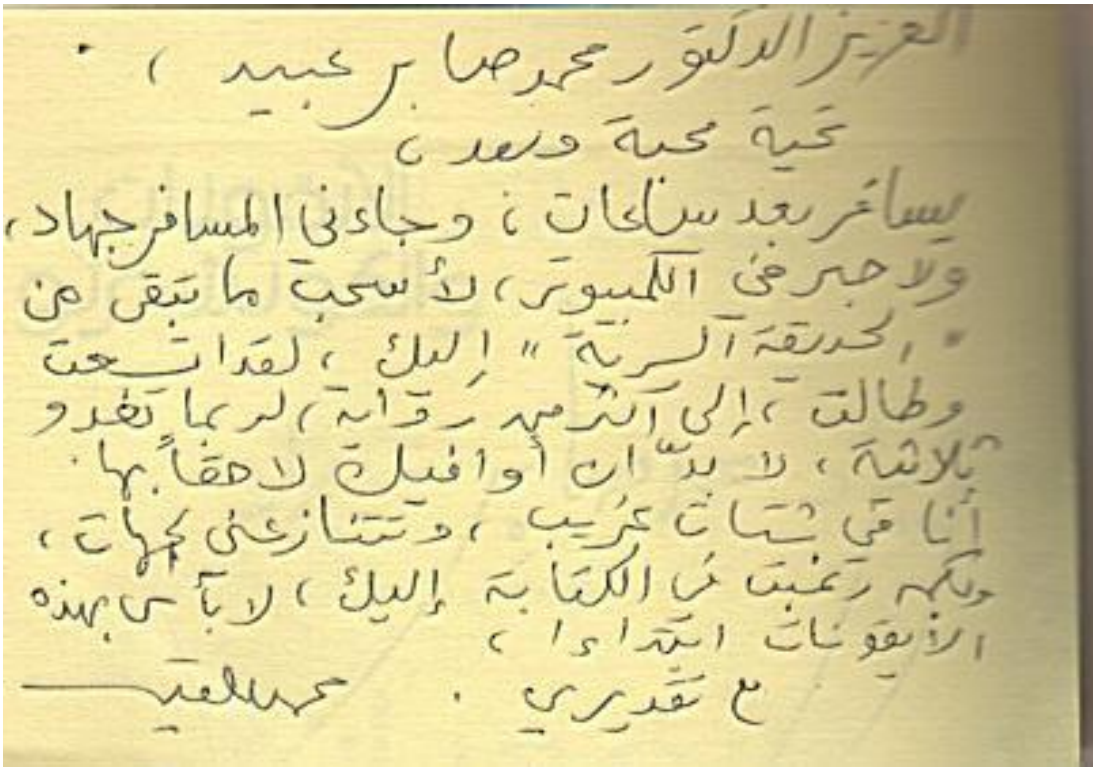
العزيز الدكتور محمد صابر عبيد ،
تحية محبة وبعد ،
يسافر بعد ساعات ، وجاءني المسافر جهاد ،
ولاحبر في الكمبيوتر ، لذا سحبت ما تبقى من
" الحديقة السرية " إليك ، لقد اتسعت
وطالت ، إلى أن أنهيه رقانة ، لربما تفرد
بلاشة ، لا بد أن أواصل لاهقاً بها .
أنا في شتات غريب ، وتتنازعني جهات ،
ولكم رغبت في الكتابة إليك ، لأبوح بهذه
الأنين ات ابتداءً ،
مع تقديري .

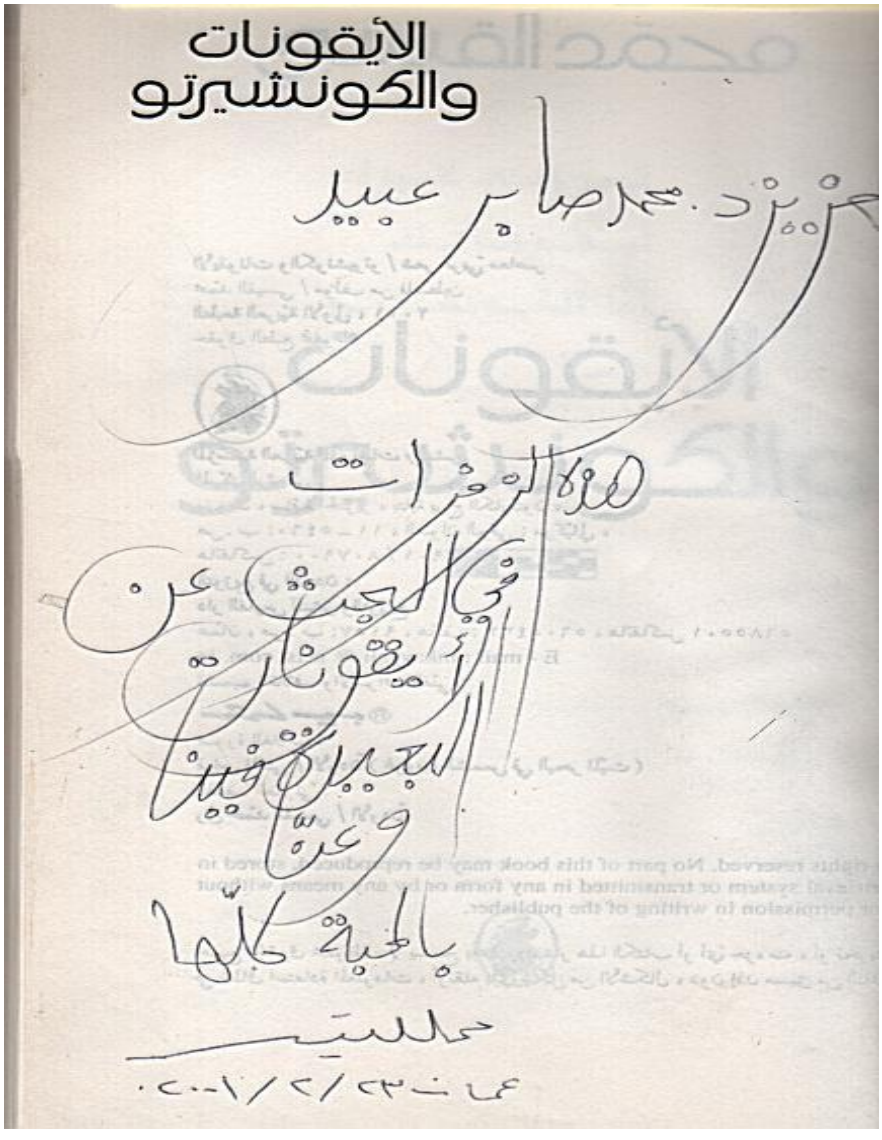
الأيقونات
والكونشيرتو

الرسائل الشخصية

- الرسالة الأولى
- الرسالة الثانية
- الرسالة الثالثة
- الرسالة الرابعة
- الرسالة الخامسة

الرسالة الأولى

عمان 5 / 10 / 1999

العزيز د . محمد صابر عبيد
تحية محبة،

خجل منك، خجل ومحرج أنا، كوني لم أكتب إليك حتى الآن، على رغبتي الأكيدة في ذلك، ولا أقول السفر أعاق وشغلني . لا، رسالتك الباذخة أمامي، تسترسل وحيدة على الطاولة، على مقربة مني يومياً، وبين عودة وإقامة، أفردها وأقرأها، ثم لا أكتب، لربما كنت أهرب من نبلها، وما تحمله من رؤى حول شغلي، فقد أخافني ذلك .
أهذا أنا؟ فيا لفداحة ما تحمّلني هذه الكلمات من مسؤولية مرهقة، فوق ذلك تغمرني بحزن عميم، إذ أحدّق فيّ، وأرى ما يُعدّ للحلم من حرائق وغياب، ولا أقول يا لي من روح تجرحها الكتابة، مثلما يجرحها الصمت ! من هنا ينبع خجلي منك وحرجي . وددت أن أقول يا مرحبا، وددت أن أزجي لك الشكر، وددت أن أقول يا بغداد، يا أمي، يقتلني جرحك ثم يحييني، ورغبت أن أختفي.
هكذا أهرب باتجاه أية دعوة هذه الأيام، لا حباً في المشاركات المهرجانية، وإنما من المكان الثابت أفرّ، والفراغ الذي لا أفق أو قول، ولا مقهى أو جماعة تصطفيها، ليؤلمني ما أرى في مهرجاناتنا الشعرية العربية، وأقول لي هذه آخر مرة، ويؤلمني أكثر غياب الاحترام للشعر، ومعنى الشعر، والطرد المنظّم لقيم الفن والجمال، حتى من القائمين على هذه المهرجانات، ويدفعني كلّ ذلك، إلى إحساس باللاجدوى من كلّ أجناس الكتابة في هذا الواقع العربي المزري الذي يزدري مثقفيه.

الصديق عبيد،
هناك جملة قديمة لأرثر ميلر، كنت قرأتها في حوار معه ما بعد المرحلة المكارثية، يتحدّث فيه وفيها عن شعوره بالضياع، ويربط هذا الشعور بإحساسه بعدم وجود تطوّر داخلي في ذات نفسه، ربما هذا ما يرعبني هذه الأيام، إذ إني أفتقر إلى الإحساس بوجود مثل هذا التطور الداخلي، ولا يشفيني شيء من هذا، فأنا لا أكتب تقريباً، ومنذ شهور طويلة، ربما باستثناء قصيدة من بيتين، وقصيدة أخرى عن الملك الضلّيل، غير راضٍ عنها تماماً . صحيح أني ألملم أجزاء كتاب جديد، هو " الحديقة السريّة " عن تجربة الحياة في لندن، وأسافر غداً أو بعد غذ إلى فلسطين المحتلة، رام الله، لأواصل في كتابة الجزء الثاني من سيرة الطرد والمكان (كتاب الابن)، لكني لا أضيف شيئاً، لا أكتب، القصيدة

أساسي ومجال عملي، وهذا يؤثر حتى على الوقت المخصّص للقراءة، فيبعثره . أنا حزين، وبي ضيق خانق من كلّ شيء، وعصبيّ المزاج في البيت، حتى لأثير مشاكل سخيفة من لا شيء، وبلا سبب، على أني أعرف هذا السبب . إن شبح الصمت لمرعب، لعلّه لا يختلف عن الموت .

لهذا أهرب في السفر وأتنقّل بحثاً عن إقامة للكتابة، أنا وحيد تماماً بعد لندن، وحيد ولا تسعف الهواتف، أو يريح المكان، لقد خسرت بلاداً، مثلما خسرت المرأة التي أحب، ما أخشاه أن تكون الكتابة هي الأخرى على طريق هذه الخسارة .

وماذا بعد، هو ذا عذابي المقيم .

قريباً ستصدر لي في القاهرة مختارات من الأعمال الشعرية تحت عنوان ((مخطوط في العشق)) ثلاثية شعرية مكوّنة من ((ناي على أيامنا)) و ((ماء القلب)) و ((الأيقونات)) وهو العمل الأخير لي لم ينشر ككتاب أو ديوان، سأمدّك به حال وصوله، بالنسبة للطالبة التي تعدّ للماجستير، فلا أعرف عمّ ستكتب، أو في أي جانب من جوانب التجربة، ماذا ستحتاج، بالتأكيد بعد امتناني وشكري لاهتمامك كله، على استعداد لإمدادها باللازم، لن أقيم طويلاً في رام الله بين أسبوع وعشرة أيام، بعد ذلك سأبعث ما ترونه، علماً أني سأحضر المربد هذا العام وسنلتقي طويلاً، ونرى إلى نسائنا الميتات أو الحاضرات .

هناك نقطة يا عزيزي يهمني أن أذكرها لك، ثمة كتاب يهيء الآن حول تجربتي الشعرية وسيصدر من بيروت، وهو عبارة عن شهادات ودراسات ومقالات تطبيقية وحوارات مطوّلة أجراها معي نفر من شعراء التسعينات في الأردن، منهم الشاعر والفنان التشكيلي محمد العامري معدّ الكتاب ومحرره، والكتاب بعنوان ((محمد القيسي المغنّي الجوّال)) من المشاركين بالدراسات والشهادات : د. إحسان عباس، د. ناصر الدين الأسد، د. ضياء خضير، محمد الجزائري، شوقي بغدادي، شوقي بزيع، أحمد دحبور، د. إبراهيم خليل، خليل السواحري، يوسف أبو لوز، هاشم شفيق، محمد الأسعد، وآخرون، يهمني جداً إن راق لك المشروع، أن تكون بين هذه الأسماء، بالشكل الذي تراه، وسيسارع ماجد بإرسال رسالة كان أعدّها سابقاً للموضوع ذاته . يهمني ذلك لاقترابك من نار هذه التجربة، فإن لم تجد الوقت أو الرغبة فلا تتأثر، أو تحسّ بحرج ما، نحن أصدقاء ولولا ذلك لما كتبت في هذا الأمر.

مشتاق لبغداد، لدجلة وابي نواس، ومشتاق لأرى الناس الذين صبروا طويلاً، وحقّ العرب أن تخجل من ذلك .

لا آخراً

أنتظر أن نلتقي

محمد القيسي

عمان ـ ص . ب 910167
الأردن

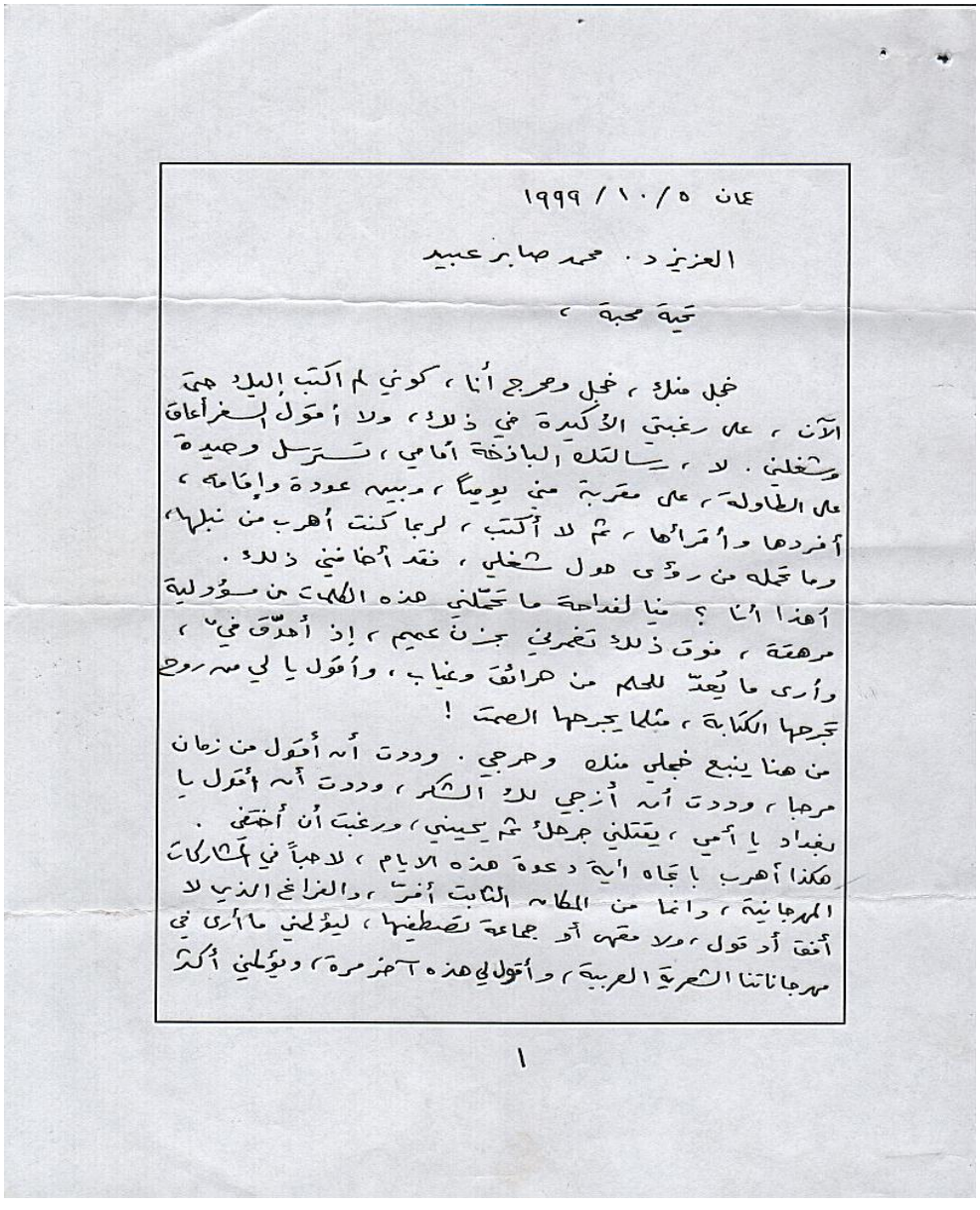

عمان ٥ / ١٠ / ١٩٩٩

العزيز د . محمد صابر عبيد

تحية محبة ،

خجل منك ، خجل وحرج أنا ، كوني لم أكتب إليك حتى الآن ، على رغبتي الأكيدة في ذلك ، ولا أقول لسرأعاق شغلني . لا ، سألته الباذخة أمامي ، تسترسل وحيدة على الطاولة ، على مقربة مني بوعيًا ، مبيبة عودة وإقامة ، أفردها وأمرأها ، ثم لا أكتب ، لربما كنت أهرب من نبلها ، وما تحمله من رؤى هول شغلي ، فقد أحاطني ذلك . أهذا أنا ؟ منا لفداحة ما تحملني هذه الكلمات من مسؤولية مرهقة ، فوق ذلك تخيرني جبن عميم ، إذ أهدّق في ، وأرى ما يُعدّ للحلم من حرائق وغياب ، وأقول يا لي من روح تجرحها الكتابة ، مثلما يجرحها الصمت !

من هنا ينبع خجلي منك وحرجي . وددت أنه أقول من زمان مرحبا ، وددت أنه أزجي لك الشكر ، وددت أنه أقول يا بغداد يا أمي ، يقتلني جرحك ثم يحييني ، ورغبت أن أختفي . هكذا أهرب باتجاه أية دعوة هذه الايام ، لاهباً في المهرجانات المهرجانية ، وانما من المكان الثابت أفرّ ، والفراغ الذي لا أتفق أو قول ، ولا مقهى أو جماعة تصطفيها ، ليؤلمني ما أرى في مهرجاناتنا الشعرية العربية ، وأقول لي هذه آخر مرة ، ويؤلمني أكثر

١

غياب الاحترام للشعر، ومعنى الشعر، والطرد المنظم لقيم الفن والجمال، هنّ منه القاتمين على هذه المهرجانات، ويدفعني كل ذلك، إلى الاحساس بالاهجوى منه كل أجناس الكتابة في هذا الواقع العربي المزري الذي يزدري مثقفيه.

الصديقة عبير،

هناك جملة قديمة لأرثر ميللر، كنت قرأتها في هوامش مقدمة المرحلة المكارثية، يتحدث فيها عن شعوره بالضياع، ويربط هذا الشعور باحساسه بعدم وجود تطهر داخلي في ذات نفسه، ربما هذا ما يعنيني هذه الأيام، إذ اني أفتقر إلى الاحساس بوجود مثل هذا التطور الداخلي، ولا يشفيني شيء من هذا، فأنا لا أكتب تقريبًا، ومنذ شهور طويلة، ربما باستثناء قصيدة من بيتين، وقصيدة أخرى عن الملك الضليل، غير راضٍ عنها تمامًا. صحيح أني ألملم أجزاء كتاب جديد، هو "الحديقة السرية" عن تجربة الحياة في لندن، وأضافر غدًا أو بعد غد إلى فلسفيه المحللة، رام الله، لأواصل في كتابة الجزء الثاني من سيرة الطرد والمكان [كتاب الابن]، لكني لا أضيف شيئًا، لا أكتب، القصيدة أساسي ومجالي، وهذا يؤرقني على الوقت المخصص للقراءة، فيبعثره. أنا حزين، وبي ضيق خانق من كل شيء، وعصبيّ المزاج في البيت ما حتى لأثير مشاكل سخيفة منه لا شيء، وبلا سبب، على اني اعرف هذا السبب. إنه شبح الصمت المرعب، لعله لا يختلف عن الموت. لهذا أهرب في السفر، وأستغل جميع فترات الإقامة للكتابة، أنا وحيد تمامًا، بعد لندن، وهيد ولا تعف الهواتف، أو يرن الجرس، لقد خبرت بلادًا، مثلما خبرت المرأة التي أحب، ما أخشاه أن تكون

الكتابة هي الأخرى على طريقة هذه الحارة .

وماذا بعد ، هو ذا عذابي المقيم .

قريباً ستصدر لي في القاهرة مختارات من الأعمال الشعرية تحت عنوان " مخطوط في العشق " ثلاثية شعرية تكونت من " ناي على ايامنا " و " عاد القلب " و " الألوان " وهو العمل الأخير لي لم ينشر لكتاب أو ديوان ، سأعمل به حال وصوله ، بالنسبة للطالبة التي تعدّ للماجستير ، فلا أعرف عمّ ستكتب ، أو في أي جانب من جوانب التجربة ، وماذا ستحتاج ، بالتأكيد بعد امتناني وشكري لاهتمامك كله ، على استعداد لإمدادها بالاسم ، لي أيتام طويل في إم الله بيته اسبوع وعشرة أيام ، بعد ذلك سأبعث ما تريده ، على اني سأحضر مرة هذا العام وسنلتقي طويلا ، ونرى إلى نهاية الميات أو الحاضرات .

هناك نقطة يا عزيزي يهمني أن أذكرها لك ، ثمة كتاب يهيئ الآن حول تجربتي الشعرية وسيصدر من بيروت ، وهو عبارة عن شهادات ودراسات ومقالات تطبيقية وحوارات طويلة أجراها معي نخبة من شعراء الستينات في الأردن ، منهم الشاعر والفنان التشكيلي محمد العامري معدّ الكتاب ومحرره ، والكتاب بعنوان " محمد القيسي : المغني الجوال " ومن المشاركين بالدراسات والشهادات : د. احسان عباس ، د. ناصر الدين الأسد ، د. ضياء خضير ، محمد الجزائري ، شوقي بغدادي ، شوقي بزيع ، أحمد دحبور ، د. ابراهيم خليل ، خليل الواصري ، يوسف ابو لوز ، هاشم غيق ، مهدي السعد ، وآخرون ، يهمني انه رأى لك المشروع ، انه تكون بينه هذه الأسماء ، بالشكل الذي تراه ، سيارع ماجد بارسال دراسة كان أعدّها سابقاً للموضوع ذاته . يهمني ذلك لاقترابك من نا—

٣

هذه التجربة ، فإن لم تجد الوقت او الرغبة فلا تتأثر ، أو تحسّ بحرج ما ، فمن أصدقاء ، ولولا ذلك لما كتبت في هذا الأمر .

مشتاقه لبغداد ، لدجلة ، لأبي نواس ، ومشتاق لأرى الناس الذين صبروا طويلا ، وحق للعرب أن تخجل من ذلك .

لك آخراً ،
أنتظر أن نلتقي

محمد الطيب

عمان - ص.ب ٩١٠١٦٧
الأردن

الرسالة الثانية:
عمان 19 / 12 / 1999

الصديق العزيز د . محمد صابر عبيد
تحية محبة،

قبل أيام في أمسية أندلسية لي، في معهد ثرفانتس بعمان، تذكّرتك كثيراً، لا أعرف لماذا رغبت في وجودك، ربما لتكون شاهداً على حزن لا يرغب أن يموت، ويظلّ في الكلمات حيّاً، ربما لنرى بعد القراءة إلى حانة، فتحتسي شيئاً، أو ندور في الطرقات . أنتبه الآن إلى أنّا لم نمش معاً في شوارع بغداد الحزينة الصابرة، ولم يكن أحد معي، وأنا أرى نهارها ومغربها، كنت أستعيدني فيها وأمشي، وأستعيدها فيّ، بغداديَ الخاصّة، بغداديَ البعيدة وأقف، لأبتلع الغصّة أمام المشهد العربيّ، مشهد الصمت الذليل، الذي يُحكم بيديه الأنشوطة، لكنّ بغداد أعرف لا تموت .

طافحاً بالوحدة في القراءة كنت، وعميق الأسى، بينا أجول أمكنة الماضي، وصور الفقدان، لعلّي دمعت أكثر من مرّة، وتحشرج صوتي .

الآن صمت وأكتب، صمت في المكان حولي، وفيّ يجيش، عزلتي تتواصل، ونادراً ما أغادر البيت، صار عالمي، أتنقّل فيه، أقرأ أو أتأمل، أو لا أفعل شيئاً، وأعدّ لنفسي القهوة، أنتظر الأبناء يعودون من الخارج . الوقت ما بعد الظهيرة الآن . أمس لم أنم، كنت مع أنطونيو غالا، في روايته " الوله التركي " كاتب تهزّك لغته وأجواؤه .

في " المخطوط القرمزي " عن يوميات أبي عبد الله الصغير زرعني في الحاضر الممزّق، حاضر الخسارات العامة، وكان محرّضي على كتابة قصيدة جديدة، "" قناع أبي عبد الله الصغير " وهو الآن يرجف جسدي، ويمضّ مني الروح، يشدّ أصابعي، ويدفعني إلى إتمام الشغل في " الحديقة السريّة " عملي النثري عن تجربة الوله اللندني .

أنت لا تعرف أن صورتك أمامي الآن، في صفحة جريدة، وحوارك المنشور في " الدستور " الأردنية، وكتابيك الشعريين أيضاً، وكنت قرأتهما غبّ عودتي من المربد الباهت، قبل قليل، قبل ساعة من وقت الشروع في هذه الكتابة، كنت أجول فيهما، قرأت أحزان الفراشات جيداً، مثلما جوادك الطاعن في العشق، فازداد حزني كوىً وشبابيك ومرايا، ودعوت لك أن تظلّ باحثاً

(عنها في صناديق المساءْ
في زوايا زحمة الليل الأخيرْ ..)(*)

ويالمفارقة، وكأنك لو كنت تتلصّص عليّ منذ بداية يومي هذا، أو حياتي، حين كتبتَ:

(صالةٌ للعرضِ
خاويةٌ

وراويةٌ
يقصّ حكايةَ المعنى لزوّار الفراغْ)

لكم تأملت هذا المسرح، وغصصت فيه كما وصفتَ تماماً

(عاشقٌ ينتظرُ الطعنةَ في ظلّ السكوتْ)

مثلما أراني، أرانا في " بؤرتـ " كَ ذاتها:

(في خلايا النارِ ، أطفأت الجسدْ)

على أن الأكثر مرارة، حين نصفن ذاهلين، متأملين رماد الحكاية ـ الحياة، ونرى إلى سيرتنا، حيواتنا كلّها، وقد انحصرت وتشكّلت توهّجاً وانطفاءً، هكذا في خلاصة ما بين قوسين حادّين

(من نارِ النساءِ ..
إلى رمادِ القصيدة .)
مع ذلك يا صاحبي، أنا واثق أن /

الشعراء لن يهجروا نحيبهم الأزليّ ..
ليظفروا ببوح جميل / وذاكرة أقلّ عطبا .

وسنظل نطرح الأسئلة وتمطرنا ((القصائد باعوجاج المعاني / وفرادة الأحزان)) ونذهب ((قرصناتنا العارية)) مع علمنا ـ ربما ـ أن ما سنقطف من أعراس، سرعان ما يباغتها الانطفاء .
ما أجمل أن تقول:

إضربْ تقواكَ بطيشك
تربحْ جرحاً
أكثر استدارة من الكرة الأرضية

أو هذه النفثة المزدحمة بالكلام اللامحكي:

مَنْ يُخطىء قلبَه في اللغة
لا يُخطىءُ دمَه في الحب

نهاري يزداد كثافة، وأحسّ بغنى ما، الشمسُ من خلل الستارة المخرّمة تسقط على الورقة، مثلما تحطّ قريباً من قدميّ، خيوطَ أشعة ناحلة .
الآن أمتلك الكثير، بعض أبنائي وصل، الواحد بعد الآخر، سأبعد كتابيك وصورتك والجريدة عني، لربما أخرج بعد قليل، دونما غاية، إنما بعد أن أنتهي من الكلام إليك . ساعتان ويحلّ الآذان، أنا غير صائم .

تقع عيناي على السؤال الأخير في الحوار، على جملة " نحن في عتبة ألفية ثالثة ... " أقرأ السؤال والإجابة، أتوقف عندك " أدعو مثقفينا العرب .." وأذهب من جديد في تأمل هذا الراهن الكسيح، فلأفض لك إذن بما كتبت:

أجهر بشيء من المرارة الممزوجة بالخجل الممضّ، من كوني عشت النصف الثاني من القرن الفارط ـ بعد انفراطه كاملا ـ إضافة إلى بعض أربعيناته، بدءاً من فعل الطرد من البيت الأول 48، إلى محاولات التغييب والمحو من الوجود والمعنى على امتداد ما تبقّى من فصوله حتى اللحظة، أجهر أني لا أرغب أن أراه يتناسل في صورة قرن آخر، وإسم آخر، هو الحادي والعشرون، لا أرغب أن أفتح عينيّ، لأراني في أبهائه عارياً، وحيداً، ومركوناً في الفراغ، بلا علامة لي، أو نقطة على صفحاته الآتية، أُواصلني منها، فعلى أيّ صعيد أميل ستترعني الخسارة، من زعزعة الذات إلى تشظي العام المشبع بالأزمات التاريخية . لو أملك القدرة في أن أشيح بوجهي عنه، ما ترددتُ، كنت أذهب صوب قرن آخر في زمن آخر، إن كان هنا لك زمن آخر، زمن أقدر أن أراني فيه، يكون الحبّ أغنيته العالية، لأرى وأسير جماعةً، في حدائقه وممرات ميسرّة لنا، ويكون الشجر أخضر، زمن بلا ضرائب على كلّ شيء، ضرائب على الوجدان والشعور والأحاسيس والهوى والرقاد الرهيف، في مثل هذا الزمن يصحّ أن أستقبل في الشهور الأولى منه حفيدي الأول، فَرِحاً وصادحاً، وأن تقف على مبعدة سنوات من بدايته، على حافة رصيف ما شيخوختي الشابة بانتظاري، سيطيب لي أن أخاطبها :

ـ عمي صباحاً يا شيخوختي، تعالي إلى نهار من العافية جديد، إلى حبّ يواصل فينا الروح، ويشدّ أوتار الجسد، لدينا عصب موّار بالحياة يا شيخوختي، تعالي .

وأجزم الآن، أنْ سنذهب مفعمين بالريح، نجول الكروم التي يموج نوّارها بالنعيم الأرضيّ، بينا نترنّم بما لم نكتب من قصائد .

أما الآن، فها هي صورة القادم جليّة، لا أبعد من صورة بالغة القتامة أمامي، لو كان تأخر خمسين سنة، أو مائة سنة أفضل، لربما اختلف الأمر، لربما كانت روحي هادئة راضية، لربما كنّا مؤهلين أكثر لولوج عتباته، ورأينا إلى مقعد لنا في قاعاته الفسيحة، لا الانتظار المذلّ المملّ على هوامش أرصفته، أكواماً زائدة يهون دونها الغياب، إذ لا معنى فيه لدور الجوقة، وما من أفق لحياة التابع . هكذا نخطو مثخنين بالهزائم التاريخية من جغرافية سايس بيكو، حتى تاريخ الرضوخ والامتثال لموائد المفاوضات، بينا تتناسل فينا الأزمات، من حجارة السور وقفل البوابة، إلى صدر البيت، مدركين نحن جوّالي الشوارع المحفوفة بالحراب حفاظاً على الأمن، لإطالة عمر الخراب فينا، أنّ أمريكا لن تدع العالم يعيش بهدوء، دولاً، أو شعوباً، أو أفراداً غاضبين لحريتهم وكرامتهم الإنسانية، ومنْ يعرف في أيّ سنوات الألفية الثالثة، تُكسر شوكتها، ويعاد الاعتبار إلى الإنسان، وحشِ هذه الأرض، وفريستِها البائسة !

آه يا صاحبي، ألم أقل لك إنّ نهاري يزداد كثافة، وإني سأخرج، فلم أزحمك بكلّ هذه الثرثرة؟

إليك إذن بالحوار، بقصائد الأمسية الأندلسية، إليك بمحبتي .

محمد القيسي

يقترب " العيد "
كل عام وأنت بخير

(*) كل المقاطع الشعرية المسوّدة في الرسالة هي من مجموعتين شعريتين هما ((أحزان الفراشات الكهربائية)) و ((يوميات جواد طاعن في العشق))، محمد صابر عبيد، صدرا عن مكتب الصفاء في الموصل، 1999 .

عمان ١٩/١٢/١٩٩٩ (١)

الصديق العزيز د. محمد صابر عبيد

تحية محبة ،

قبل أيام في أمسية أندلسية لي ، في معهد ثرفانتس بعمان ، تذكرتك كثيرا ، لا أعرف لماذا مرغبت في حضورك ، ربما لتكون شاهدا على حزن لا يرغب أن يحزن ، ويظل في الكلمات حيا ، ربما لنرى بعد القراءة إلى جانبي ، نخبتي شيئا ، أو نمور في الطرقات . أنتبه الآن إلى أننا لم نشرب معا في شوارع بغداد الحزينة الصابرة ، ولم يكن أحد معي ، وأنا أرى نهارها ومغربها ، كنت أستعيد في فيها وأمشي ، وأستعيدها فيّ ، بغداديّ الخاصة ، بغداديّ البعيدة وأقف ، لأبتلع الغصة أمام المشهد العربي ، مشهد الصمت الذليل ، الذي يحكم بيديه الأنشوطة ، لكن بغداد أعرف لا تموت .

لطالما بالوحدة في القراءة كنت ، وعميق الأسى ، بينا أجول أمكنة الماضي ، وصور الفقدان ، لعلّي دمعت أكثر من مرة ، وخشرج صوتي .

الآن صمت وأكتب ، صمت في المكان حولي ، وفيّ يجيش ، عزلتي تتواصل ، ونادرا ما أغادر البيت ، صار عالمي ، أتنقل فيه ، أقرأ أو أتأمل ، أو لا أفعل شيئا ، وأعدّ لنفسي القهوة ، أنتظر الأبناء يعودون من الخارج . الوقت ما بعد الظهيرة الآن . أمس لم أنم ، كنت مع انطونيو غالا ، في روايته « الوله التركي » ، كاتب تهزك لغته وأجواؤه . في « الخطوط القرمزي » عن يوميات أبي عبد الله الصغير ، زرعني في الحاضر الممزق ، حاضر الخسارات العامة ، وكانه يحرضني على كتابة قصيدة جديدة ، « ضياع أبي عبد الله الصغير » وهو الآن يرجف جسدي ، ويمضّ مني الروح ، ليشدّ أصابعي ، ويدفعني إلى إتمام الشغل في « الحديقة السرية » ، عملي النثري عن تجربة الوله الذي .

أنت لا تعرف أنه صورتك أمامي الآن ، في صفحة من جريدة ، وهوارك المنشور في « الدستور » الأردنية ، وكتابيك الشعريين أيضا ، وكنت قرأتهما غبّ عودتي من المربد الباهت ، قبل قليل ، قبل ساعة من وقت الشروع في هذه الكتابة ، كنت أجول بينهما ، قرأت أحزان الفراشات جيدا ، مثلما هوارك الطاعن في العشق ، فازداد حزني كوى وشبابيك ومرايا ، ودعوت لك أن تظل باحثا عنها في مصاديق الماء

في زوايا زحمة الليل الأخير ..]

والمفارقة ، ولما لو كنت تتلصّص عليّ منذ بداية يومي هذا ، أو حياتي ، حين كتبتَ [صالةٌ للعرض
خاويةٌ
وراويةٌ
يقصّ حكايةَ المعنى لزوّارِ الفراغْ]

لكم تأملت هذا المسرح ، وخصصت منه كما وصفتَ عاماً [عاشقٌ ينتظرُ الطعنةَ في ظلّ السكوتْ] مثلما أراني ، أرانا في " بؤرتك " لكَ ذاتها :

[في خلايا النارِ ، أطفأتُ الجسدْ]

على أنّ الأكثر مرارة ، حين نضعه ذاهلين ، متأملين رماد الحكاية - الحياة ، ونرى إلى سيرتنا ، هيولاتنا كلّها ، وقد انحصرت و تشكّلت توقّعاً وانطفاءً ، هكذا في خلاصة ما بين قوسين حادّين [من نارِ النساءِ ..
إلى رمادِ القصيدة .]

مع ذلك يا صاحبي ، أنا واثق أن / الشعراء لن يهجروا نحيبهم الأزليّ .. ليظفروا ببوح جميل / وذاكرة أقلّ عطبا .
وسنظل نطرح الأسئلة ونمطرنا " القصائد باعوجاج المعنى / وفرادة الإحزان " ونذهب " فرحاتنا العارية " مع علمنا - ربما - أن ما سنقطف من أعراس ، سرعان ما يباغتها الإنطفاء .
ما أجمل ما تقول : إضربْ تقوالكَ بطيئاً
تربحْ جرحاً
أكثر استدارة من الكرة الأرضية .

أو هذه النفثة المزدحمة بالكلام اللاحكي :
مَنْ يُخطئ قلبَه في اللغة
لا يُخطئ دمَه في الحب .

نهاري يزداد كثافة ، وأحسّ بغنىً ما ، الشمس من خلال السارة المخرّمة تسقط على الورقة ، مثلما تحطّ قريباً من قدميّ ، هبوط أشعة ناعمة . الآن أمتلك الكثير ، بعض أبنائي وصل ، الواحد بعد الآخر ، سأُهدي كتابي وصورتك والجريدة عني ، لربما أخرج بعد قليل ، ودون غاية ، إنما لعلّه أنه انتهى

من الكلام إليك . ساعتاه ويحلّ الآذان ، أنا غير صائم .
تقع عيناي على السؤال الأخير في الحوار ، على جملة " نحن في عتبة الألفية ثالثة .. " أقرأ السؤال والإجابة ، أتوقف عندك " أدعو مثقفينا العرب .. وأذهب من جديد في تأمل هذا الراهن الكسيح ، فلأفض لك إذن بما كتبت : أجهر بشيء من المرارة الممزوجة بالخجل المضنّ ، من كوني عشت النصف الثاني من القرن الفارط - بعد انقراضه كاملا - إضافة إلى بعض أربعيناته ، بدءاً من فعل الطرد من البيت الأول عام ٤٨ ، إلى محاولات التغييب والمحو من الوجود والمعنى على امتداد ما تبقّى من فصوله حتى اللحظة ، أجهر أني لا أرغب أن أراه يتناسل في صورة قرن آخر ، وإسم آخر ، هو الحادي والعشرون ، لا أرغب أن أفتح عينيّ ، لأراني في أبهائه عارياً ، وحيداً ، ومركوناً في الفراغ ، بلا علامة لي ، أو نقطة على صفحاته الآتية ، أواصلني منها ، فعلى أيّ صعيد أميل ستترعني الحيرة ، من نزعة الذات إلى تظلّل العام المشبع بالأزمات التاريخية . لو أملك القدرة في أن أشيح بوجهي عنه ، ما ترددت ، كنت أذهب صوب قرن آخر من زمن آخر ، إنه كما لا هنا لا زمن آخر ، زمنه أقدر أن أراني فيه ، بكوبه الكب أغنيته العالية ، لأرى وأسير جماعة ، في هدائه وعثراته مبشّرة لنا ، وبكوبه الشجر الأخضر ، زمن بلا ضرائب على كل شيء ، ضرائب على الوجدان والشعور والأحاسيس والهوى والرغاد الخفيف ، في مثل هذا الزمن يصحّ أنه أستقبل في الشهر الأول منه عيدي الأول ، فرحاً وصداحاً ، وأن تقف على مقعدة سنوات من بدايته ، على حافة رصيف ما شيخوختي الشابة بانتظاري ، سيطيب لي أن أخالجها :
- عمي صباحاً يا شيخوختي ، تعالي إلى نهار من الحافية جديد ، إلى حب يواصل فينا الروح ، ويشدّ أوتار الجسد ، لدينا عصب مؤزر بالحياة يا شيخوختي تعالي . وأجزم الآن ، أنّ سنذهب مغمضين بالريح ، نجول الكروم التي يموج نوّارها بالنجم الأرضيّ ، بينا نترنم بما لم نكتب من قصائد .
أنا الآن ، منها هي صورة القادم جليّة ، لا أبعد من صورة بالغة القتامة أمامي ، لو كان تأخر فيه سنة ، أو مائة أفضل ، لربما اختلف الأمر ، لربما كانت روحي هادئة راضية ، لربما كنا مؤهلين أكثر لولوج عتباته ، ورأينا إلى مقعد لنا في قاعاته الفسيحة ، لا الانتظار المذلّ الحلّ على هوامش أرصفته ،

(٤)

أكواماً زائدة يهدمه دونها العذاب ، إذ لا مفر منه لدور الجوقة ، وما من أفق لحياة التابع . هكذا تخطو مخنيه بالزائم التاريخية منه جغرافية سايس بيكو ، من تاريخ الرضوخ والاستئثال لوائح المفاوضات ، بينما تتناسل منا الأيمان ، من حجارة السور وقفل البوابة ، إلى صدر البيت ، ندركين نحن جوّالي الشوارع المحفونة بالحراب حفاظاً على الأمن ، لإطالة عمر الخراب فينا ، أنّ أمريكا لن تدع العالم يعيش بهدوء ، دولاً ، أو شعوباً ، أو أفراداً عاصبين لحريتهم وكرامتهم الإنسانية ، ومن يعرف من أي من سنوات الألفية الثالثة ، تكسر شوكتها ، ويعاد الإعتبار إلى الإنسان ، وشعر هذه الأرض ، وغريبتها البائسة !

آه يا صاحبي ، ألم أقل لك إن نهاري يزداد كثافة ، وإنياً أضرج ، فلم أزحمك بكل هذه الثرثرة ؟
إليك إذن بالحوار ، بقصائد الأندلسية ، إليك بحبتي .

محمد التسي

نقتبس " العيد "

كل عام وأنت بخير

ـ الرسالة الثالثة:

العزيز محمد صابر عبيد،

بالمحبة كلّها أكتب الآن، أوجعني جداً بعد أن كنت هيأت نفسي، أن أجد دوني والسفر إلى بغداد فتكريت، أكثر من عقبة، منها صحية في الأساس، ونفسية، هي أقل تأثيراً، وكان يمكن التغلّب عليها، ذلك بعد أن هيأت نفسي وأخبرت رفيق الذي كان اتصل بي، أني ذاهب، فهيأ بدوره ما رغب أن يبعثه معي، وحددت معه موعداً لذلك، لكنّ الهواء الذي كان خرّ على عظمي من ناحية الصدر الأيمن منذ أسبوع، وكنت تشافيت منه قليلاً، عاد ثانية يخز ويلسع، وانتكست إلى الحدّ أن كتفي الأيسر وجزء من العنق منعا تماماً حركة الرأس، إضافة إلى الألم العضوي، وقد سبب لي كل ذلك ألماً أكبر، هو الألم النفسي، ولعلّ ما بعث ذلك هو تفكّري في هشاشة الجسد الإنساني، إذ ما أسرع أن يتهاوى هذا الجسد ويختلّ دوره، بفعل شكوى أصغر عضو فيه ربما، حتى لو كان كتفاً، أو عرقاً في رقبة . لكل ذلك حزنت . وعوّق هذا فرصة خروجي من القفص الذي يتحدّد ما بين البيت والمقهى الذي أجلس، إضافة إلى المشي آخر الليل وحيداً في الحي الذي أسكن، هكذا لم يتح لي أن أرى إلى هواء مختلف، وصحبة محببة . وكنت كما تعرف أنتظر ذلك، حتى أني أسفت أن مرّ شهر شباط الماضي الذي كما عرفت كان موعداً أول للمناقشة كما قلت لي .

رغم كل ذلك، لا أجد لي عذراً، ولا أعرف كيف أداري هذا الحرج في الكلمات، لكم رغبت أن أكون وأن نلتقي هناك، وأن نرى إلى الروح، واحتمال تجليات أخرى جديدة، لكن ماذا نفعل، أو أفعل، أنا جدّ وحيد، وأعدت " الوله التركي " إلى مكانه في رفّ الكتب، مثلما فعلت بالمجلات، وما اخترت أو هيأت من أشياء، إلى وقت آخر، أو صديق عائد إلى بغداد، تخبره بذلك فأراه، حتى النسخة الكاملة من " الحديقة السرية " وقد فرغت منها كتابة ومراجعة وطباعة، قبل شهور، وهيأت نسختك لقراءتها وكتابة ما تحدّثنا فيه، ظلّت مركونة على الطاولة أمامي، في انتظار أن تحطّ بين يديك يوما، ذلك أني أنوي إصدارها مطلع العام 2002، وتدور حورات هاتفية مع ذات الشأن لثنيي عن نشرها بعد أن اطلعتْ عليها .

ولكم أسفت أيضاً إذ أخبرني د. ضياء خضير، أنه التقى في دمشق نجمان ياسين، وأن نجمان تحدّث له عن الأطروحة، وأنها جيدة، وأنكم كنتم في انتظاري حتى أن حجز الفندق قد تمّ كما قيل، أسفت كثيراً، وشوّقني هذا لمعرفة ما تمّ، وكيف جرت الأمور، حبذا لو تضعني في صورة ذلك .

عمان 18 / 8 / 2001

هكذا غرقت في عزلتي، لم أرقم الرسالة على الحاسوب ولم أكملها أو أبعثها .. هربت أكثر من مرّة إلى دمشق، شاركت في مهرجان حمص الشعري، ثم المحبة في اللاذقية مؤخراً، قبل اللاذقية بقليل وصلت رسالتك الثانية ذات البرقيات الخمس، إضافة إلى هاتف رفيق يخبرني فيه أن د. بشرى في جامعة جرش، خابرتها، واتفقنا على اللقاء بعد عودتي، وحملت معي رسالتيك إلى اللاذقية، قلت أكتب، وما كتبت، أمس تخبرني بشرى أنها قادمة إلى عمان

وسألتقيها بعد ساعات هذا النهار، الأحد إذ ستغادر كما تقول إلى بغداد فجر الأثنين، لا بأس، سأرى ما أجمع لك من كلام وورق .
أما عن برقياتك الخمس فالإجابة كالتالي:

الأول : لعل هذه الأوراق تنقل اعتذاري وتشفع إلى حدّ ما عن الغياب، الذي آلمني، وأعرف أن سماء العراق مليئة بالنجوم .

الثانية : لعلّ رسائل الجهة الخامسة هي الأكثر شفافية وصدقاً حتى لو لم تكتب أو ترسل، على أنها تظل سارية في الداخل ودوّارة، والوقت متواصل في تشكيل حروفها وأسطرها .

الثالثة : سأكون سعيداً بوصول النسخة من الرسالة وسأتدخّل لدى مؤسسة الدراسات العربية للعمل على نشرها، على أن ماهر الكيالي " الجشع جداً " على الصعيد المالي بعد أن انكبّ على داره الخليجيون والسعوديون، يطالب دوماً بمبلغ مالي كثمن شراء نسخ من الكتاب، وقد انعكس هذا السلوك علينا، لكن لا بأس من المحاولة، فأرسلها بالسرعة الممكنة .
الرابعة : هذا سؤال مبعثه التوقف عن الكتابة لا المراسلة، فالمراسلة كما في جواب البرقية الثانية متواصلة، مع ذلك تشعرني البرقية بالحرج، الأصدقاء المميزون قليلون هذه الأيام، ولست ممن يفرطون بالقلّة .

الخامسة : هو كذلك، ولا يلقم الحبر إلا عند ضرورة الكتابة، ألم يقل قديماً، نحن قوم لا نأكل حين نجوع . وقد اكتملت الحديقة . وها أنا أشرف على الانتهاء من عمل شعري أخذ عنوان ((كتاب النمنمات)) أوافيك بنسخة منه . مع ذلك يظل الشغل واحتمال الإضافة حتى آخر هذا العام .

أيها العزيز،
لكأني أحسّ من كتابتك حول رسالة جواد أنها لم تتضمن ديوان " الأيقونات والكونشيرتو " ذلك أنك لم تشر إليه، وكنت أرسلت معه نسختين أحداهما لبشرى، وعرفت منها أنها لن تتسلمها هي الأخرى . لا بأس هي نسخة أخرى لك، مع بعض ما كتب عنه، وقد استقبل نقدياً بشكل جيد، وكتب عنه كثيراً آمل أن يعجبك، أتوقف لأهاتف بشرى . تخبرني أن ضغطها مرتفع ولن تسافر في موعدها، ارتحت قليلاً، ولم نلتق .
اليوم 20 / 8 صباحاً، تهاتف أنها ستغادر ظهراً وأنهم سيمرون عليّ، أرتبك أنا الكسول، وقد اتكلت على عدم سفرها، لا بأس، سأتوقف الآن، سيصلون بعد قليل لتغادر بعد ساعتين، سأرى ما يمكن فعله .
إذن بين يديك " الحديقة السرية " فعجّل معالجتك، الأيقونات أيضاً مرفقة ببعض ما كتب عنها من دراسات، ثم ديوان " كتاب المنمنات " الخاضع لإعادة النظر فيه، إضافة إلى:
1 ـ الوله التركي ـ لغالا
2 ـ دراسة في جماليات شعر الهايكو
3 ـ المغني الجوال، وفيه دراستك الهامة القيمة .

ما زلت أنتظر وصولهم إليّ، وسأرى ما أضيف من مجلات، آه، نسيت، هناك كيلو من زعترنا، ومثله من بنّ غيرنا .
الدكتورة بشرى ورفيق الآن في بيتي، هما أمامي الآن، وأكمل الرسالة على عجل، لأنهما تأخرا على السيارة، ثمة مجلات كثيرة أعطيت، ولكما أن تتشاركا أو تتقاسما كما يحلو لكما،
لكم أشتاقك الآن، وبغداد،

لك محبتي وللعراق كله

محمد القيسي
عمان 20 / 8 / 2001

١

العزيز محمد صابر عبيد ،

المحبة كلها أكتب الآن ، أو جفني هدأ بعدك
كنت هيأت نفسي ، أن أجد دوني والسفال
بغداد فتكريت ، أكثر من عقبة ، منها صحية في
الأساس ، ونفسية ، هي أقل تأثيراً ، وكان
عليه التغلب عليها ، ذلك بعد أن هيأت نفسي
وأخبرت رفيق الذي كان أصلي ، أني ذاهب ،
منهياً بدوره ، ما رغب أن يبعثه معي ، وحددت
معه موعداً لذلك ، لكنه الهواء الذي كان خرّ
في عظمي من ناحية الصدر الأيمن منذ أسبوع ،
وكنت ثافيت منه قليلاً ، عاد ثانية يخز ويلسع ،
وانتكست إلى الحد أن كتفي الأيسر وجزء من
العنق منعاني تماماً حركة الرأس ، إضافة إلى
الألم العضوي ، وقد سبب لي كل ذلك ألماً أكبر هو
الألم النفسي ، ولعل ما بعث ذلك هو تفكيري في
~~هذه~~ هشاشة الجسد الإنساني ، إذ ما أسرع
أن يتهاوى هذا الجسد ويختل دوره ، بفعل شكوى
أصغر عضو فيه ربما ، حتى لو كان كتفاً ، أو عرقاً
في رقبة . لكل ذلك حزنت ، وعوّق هذا فرصة

مزوجي من القصر الذي أعيش فيه
ومن زينب التي يمتد ما بين البيت والمقهى
الذي أجلس، إضافة إلى المشي آخر الليل وحيداً
في الحي الذي أسكن، هكذا لم يتح لي أبداً أن
أرى هواء مختلفاً، وصحبة محببة. وكنت كما
تعرف أنتظر ذلك، حتى إني أسفت أن مرت
شهر شباط الماضي الذي كما عرفت كان موعداً
أولاً للمسافة كما قلت لي.

ورغم كل ذلك، لا أجد لي عذراً، ولا أعرف
كيف أداري هذا الحرج في الكلمات، فكم رغبت
أن أكون وأنا نلتقي هناك، وأنه نزال
الروح، واحتمال تجليات أخرى جديدة، لكن ماذا
نفعل، أو أفعل، أنا جد وحيد، وأعدت "لوله
الرحيل" إلى مكانه في رفّ الكتب، قبلها قفلة
بالمجلات، وما اختزنت أوعيات من أشياء، إلى
وقت آخر، أو صديق عائد إلى بغداد، تخبره
بذلك، فأراه، حتى النسخة الكاملة من "الحديقة
السرية" وقد مرّغت بها كتابة ومراجعة وطباعة،
قبل شهور، وعيات تشتاق لقراءتها وكتابة ما
تحدثنا فيه، ظلت مركونة على الطاولة أمامي، في انتظار
أن تحط بين يديه يوماً، ولكن إني أتوب إصدارها مطلع

الشام ... وبدور حوارات هاتفية مع ذات الشأن
لشيء عمه نشرها بعد ان اطلعت عليها .

ولكم أسعدت أيضاً إذ أخبرني د. صباح قفيش انه
التقى في دمشق بجمان ياسين ، وانه بجمان تحدث
له عن الأطروحة ، وانها جيدة ، وانكم كنتم في
انتظاري حتى انه جزء الفندق قد تم كما ميل لأسفت
كثيراً ، وشوقني هذا لمعرفة ما تم ، وكيف جرت
الأمور ، هذا لو تصنعني في صورة ذلك .

(١)

عمان ١٩/٨/١٩٩٦

هكذا غرقت في عزلتي ، لم أرقم الرسالة بعد كما يجب
ولم أكلها أو أنقبها .. هربت أكثر مرة إلى دمشق
شاركت في مهرجان حمص الشعري ، ثم الحيرة في
اللاذقية مؤخراً ، قبل اللاذقية بقليل وصلت
رسالتك الثالثة ذات البرمائيات الخمس ، إضافة
إلى هاتف من رفيق يخبرني منه انه د. بشرى في جامعة
جرش ، طارتها ، واتفقنا على اللقاء بعد عودتي ،
وحملت في رسالتك إلى اللاذقية ، قلت الكتب ،
ومالكتبة ، أمس تحدثت بشرى أنها قادمة إلى عمان
وسألتقيها بعد ساعات هذا النهار ، الأحد إذ سيغادر
كما تقول إلى بغداد غير الأشياء ، ولا بأس سأرى ما أجمع

لا أعرف كلام وورق .
أما عن برقياتك الحسنى فالإجابة عليها كالتالي :

الأول : لعل هذه الأوراق تنقل اعتذاري وتشفع إلى أحدها عن العتاب الذي أعرف أنه سماء العراق مليئة بالنجوم .

الثانية : لعل رسائل الجهة الخامسة هي الأكثر شفافية وصدقاً حتى لو لم تكتب أو ترسل ، على أنها تظل سارية في الداخل ودوّارة ، والوقت متواصل في تكميل حروفها وأسطرها .

الثالثة : سأكون سعيداً بوصول نسخة من رسالة وسأتدخل لدى مؤسسة الدراسات العربية للعمل على نشرها على أنه ما زال الكتاب "الجمع جداً" على الصعيد المالي بعد أنه الكتب على دار الخليجيون والسعوديون ، طالبا لدوما بمبلغ مالي كثمن شراء نسخ من الكتاب ، وقد انعكس هذا السلوك علينا ، لكن لا بأس من المحاولة ، فأرسلها بالرعاية الممكنة .

الرابعة : هذا سؤال صعب التوقف عند الكتابة ، لا المراسلة ، فالمراسلة كما في جواب البرقية الثانية متواصلة ، مع ذلك تشوي البرقية بالجوع

(٣)

الاصدقاء المميزون قليلون هذه الأيام ، ولست
ممن يفرطون بالقلة .

الخامسة : هو كذلك ، ولا يليق بالحب إلا عفة
ضفيرة الكتابة ، ألم يقل قديماً ، نحن قوم
لا نأكل إلا حين نجوع . وقد اكتملت الحديقة .
وها أنا أشرف على الانتهاء من عملي شعري
أقف عنوان " كتاب التهمات " أواصل
بنسخة منه . مع ذلك يظل تحت الضوء واحتمال
الاضافة حتى آخر هذا العام .

أيها الغزير ،

لكأني أحس من كتابتك حول رسالة هواء أنك لم
تتضمن ديوان " الانقوتات والكونشيرتو " ذلك أنك
لم تشر إليه ، وكنت أرسلت معه نسختين احداهما
لبشرى ، وعرفت منها أنها لم تستلمها هي الأخرى .
لا بأس هي نسخة أخرى لك ، مع بعض ما كتبت عنه ،
وقد استقبل نقدياً بشكل جيد ، وكتب عنه تباشيراً
آمل أن يخيبه ، أتوقف لأهاتف بشرى .
تخبرني أن ضغطها مرتفع ولن تسافر في موعدها
ارتحت قليلاً ، ولم نلتقه .
اليوم ٨/٥ صباحاً ، تهاتف أنها ستغادر ظهراً وأنهم

(٤٠)

سيمرون عليّ ، اريتك أنا الكسول ، وقد اتكلت على عدم مرضها ، لا بأس ، سأوقف الان ، سيصلونه بعد قليل لتغادر بطاعتي ، سأرى ما يمكن فعله ،

إذن بين يديك "الحديقة السرية" فعجل بمعالجتها ، الاسبوعان ايضاً سرنقة ~~ب~~ ببعض ما كتب عنها من دراسات ، ثم ديوانه "كتاب الصمت" الخاضع لإعادة النظر منه . إضافة الى :

١- الفلسفة الزن - لغارا

٢- دراسة في جماليات شعر الهايكو

٣- المغني الجوال ، وفيه دراسته الهامة العميقة .

فانت انتظر وصولهم إليّ ، وسأرى ما أضيف من مجلات . آه ، نسيت : هناك كيلو من زعترنا ، ومثله من بن غزة .

الدكتورة بشرى وفيق الآن في بيتي ، تصفح المجلات ، وأكل الرسالة ٧٨ مجلة ، تنهمك فيها على السيارة ، ثمة مجلات كثيرة أعطيتها ، ولكنها ستشاركني أوقاتها مما كما علمتك ،

لكما اشتاقكما الان ، وبغداد ،

لك محبتي والوفاء كله

محمد

عمان ٤٠/٨/١٠

ـ الرسالة الرابعة:

العزيز محمد صابر عبيد
بالمحبة كلّها،

ومعذرة، لم أكتب سريعاً، ذلك أن الفراغ يملؤني، أحسّني فارغاً مني، وأني نبتة جافة، ثمة إحساس ما بغياب القدرة الفعلية على الكتابة، لا أعني الشعر أو النصوص حسب، فقد وصل الأمر إلى بعض الزوايا الصحفية الملتزم بها أسبوعياً، لكأني بتّ عاجزاً عن استعمال الورق والأصابع. ليس هذا مجازاً، فبعد أن فرغت مما أدعوه الصياغة الأخيرة للحديقة، أو هكذا ضننت، ووضعت اللمسات الأخيرة على عمل " النمنمات " أو " منمنات أليسا " واستقّلا بيد يديّ وأعصابي، ورأيتهما على الطاولة أمامي طليقين وجاهزين للموت، حتى دبّ فيّ ما يشبه الخواء، لكأنما أنهيت رسالتي وانتهيت من أعضائي وقلبي، وعزّز هذا كل ما يبثّه التلفاز من أخبار الدمار القادم، الذي يستهدفنا أساساً، مثلما يستهدف الكتابة ويجرح الروح، فما الذي سيظلّ لنا من معنى، وكيف لا نتساءل عن جدوى كلّ شيء، حيث تنتظرنا الهاوية الأعمق مما نحن فيه .. مع ذلك هطلت كلماتك الرهيفة، بحمولتها الشفافة وألقها، لأذهب أبعد في طلب الكتابة، رسالتك أيها العزيز، ومثلها ثلاثة مدعمات بالصور والدفق العشقيّ اللاهب، من امرأة تقيم في سويسرا، هي عربية أيضاً، ترافقني دوماً هذه الرسائل الأربع، ومنزلها الحقيبة الأقرب إلى جهة القلب، أفردها على طاولة المقهى، أو البيت، أرودها أكثر من مرة، ولا أخطّ شيئاً، أقرأها مجدداً، لأعيدها إلى مغلفاتها وأعود أليّ مثقلاً وحسيراً .

يحدث ذلك هذه الأيام، وأتألم، حتى القراءة، فلا أقع على كتاب، أدخل في صفحاته قليلاً أو كثيراً، حتى ألقيه جانباً، وآخذ آخر، هكذا دواليك، حتى بتّ موزّعاً ما بين أكثر من أربعة، من " أخبار سقوط غرناطة " لواشنطن ايرفنغ، عبر رؤيا مسيحية متشدّدة، ولا تقارب في شيء رائعة (ذهب علي اسمه) ـ مجنون ألزا ـ التي تتعامل مع الأحداث ذاتها بروح منصفة لمأساة أبي عبد الله الصغير، ولا حتى غالا في " المخطوط القرمزي " إلى " بابل " و " الكتاب المقدّس " لجان بوتيرّو المتخصص في الأشوريات، وهو محاورات معه في تاريخ الأديان المقارن، إلى " المرايا المقعّرة ـ نحو نظرية نقدية عربية ـ " للدكتور عبد العزيز حمودة ويبدو كجزء ثان لكتابه السابق " المرايا المحدّبة " الذي اثار فيه زوابع كثيرة حول البنيوية ونقادها ومثقفيها من العرب، وفيه يحاكم ثقافة الشرخ، ويعود إلى التراث العربي النقدي، مواصلاً حملته على نقلة المذاهب والمدارس الفكرية الغربية إلى الواقع العربي الغريب عنا، إلى رواية الصيني الحائز على جائزة نوبل الأخيرة وهي " جبل الروح " وفيها من العذوبة والغرابة الكثير إضافة إلى المتعة، ولعل الكتاب الوحيد الذي أكملته هو رواية باولو كويلهو الجديدة "فيرونيكا تقرر أن تموت" وقد وصلتني من صفية باللغة الانجليزية، وهو عمل يدور حول أهمية الاستماع إلى عواطفنا كما يقول المؤلف، عكفت عليه وأرغمت نفسي على إتمامه من أجلها، وقفت طويلاً أمام فقرة شدّتني كثيراً، ذلك أنها أعادتني إلى مقاطع شبيهة في الصفحات الأخيرة من ملحمة كلكامش على ما أذكر، عندما أكلت الحية عشبة الحياة التي أحضرها

وهو يستحم، سأنقل لك الفقرة لترى إلى أيّ مدى ذهب كويلهو في تأثره لا أعرف لماذا نقلت لك هذه الفقرة، الحقيقة كأني في حوار معي . سمعت أنّ هذه الرواية صدرت بالعربية، سأبحث لك عن نسخة منها، هناك مكتبة في العبدلي، تحفظ منشورات الهلال.

ما الذي يحدث لي، هجست لنفسي، أحسّني رجل بيت، بثلاث وجبات، أخرج لشراء الفاكهة والصحف، وألجأ إلى المقهى ليلاً وحدي، الأوراق معي، وكتاب الحقيبة، ولا أكتب، أقلّب الصفحات وراء المقالات القصيرة . لقد ماتت فيّ صفية تماماً، قتلها البعد، الهواتف لا تملك أن تضخّ الحياة في ميت، وحزين لذلك . ترعبني فكرة أن لا تكون امرأة، ولا يكون حبّ يحرثني من جديد، ويعيد تأثيثي، سأكون جدّ وحيد إذن وناشف كقصبة مقطوعة .

لذا أسافر كأني أهرب من جفافي، ليصعقني رعد ما، هكذا التقطتني من القصائد امرأة سويسرا، نقلتْ عنواني من كتاب مهدى لصديق، شدّتها قصائد المنفى والحب، هاتفتْ ثم كتبتْ، ولم تلفحني نارها بعد، على أنها تصرّح بخطط الاحتفاظ بي، وتعمل الآن جاهدة وجادة من أجل ترتيب دعوة لي، يغريني ذلك، وأرى في الأمر ما يشبه السخرية، أو الدعابة المرّة، كأني أعيد تجربة لندن، بفارق أنّ المدينة لوزان، ولا أعرف إن كانت هذه المرأة تملك حيوية تلك، إضافة إلى مواهبها، على أنها حرّة، ولا زوج غير ابنتين، وأنا كبرت ثمانية أعوام، أقول لي لم لا، ما دامت تقول لن أخسر . يا للإغراء ! ربما أفعلها، رغم أني ألعب في الوقت الضائع، وبالمأساة الحياة، لماذا نشيخ بعد السبعين، نحتاج بالتأكيد إلى أكثر من حياة واحدة، لرغباتنا وأحلامنا المجنونة .

قبل أسبوع قرأت لوركا كاملاً في مجلدين من الهيئة المصرية، في محاولة لإعادة حيويتي في اللغة وإثارة الأحاسيس، ومن ثلاثة أيام ذهبت إلى بيتي في الرصيفة، حيث لا يسكنه أحد غير مكتبتي وكتبي الجاثمة هناك، نفضت عنها الغبار، ورأيت سان جون بيرس (أناباز، منفى، وقصائد أخرى) من ترجمة التونسي علي اللواتي، هذا عمل خضّني نهاية الثمانينيات في تونس، وبتأثير من سحره وضعت (كتاب حمدة) ها أنا أفضحني .

حملته معي إلى عمان، قلت لا بدّ يبعث حيويتي، وينفعني للكتابة، مرات عديدة قرات هذا العمل من قبل، وفي كلّ مرة يفعل فيّ سحره الأول . أدين لسان جون بيرس هذه المرة أيضاً في ردّي على رسائلي المحمولة في الحقيبة، وفي ثرثرتي الطويلة هذه معك، أرغب أن أظل أكتب حتى النهار . قبل قليل ردّد المؤذن حيّ على الفلاح، وصاح ديك . شباكي على الشارع مشرع، والسكون تامّ ونمّام.

أرى إلى رسالتك، وهذا الدفق الجميل في رصدها للتفاصيل الصغيرة والحميميّ، وأراك تفيض حياة ورغبة في احتضان البعيد، سأراك لا بدّ إذن في عمان، أمر جميل أن تحضر أخيراً إلى مدينة الاسمنت والحجر هذه، الصلدة الخانقة، المغلقة القلب، التي بلا قلب كما وصف حجازي، لربما كعابر ستراها جميلة أو تخدعك، لم لا، في الخداع جمال ما أيضاً، جمال مركون وغائب نراه بعد الوقوع، كلامك حول مناقشة الرسالة وما حولها أشعرني بالخسارة من جديد، على أني فرحت به وحزنت أكثر، على ما ألمّ بي، وألمّ بالحالة، حتى انبثق كل هذا القول الجريح، لا أعرف إن كنت قد تحصلت على " المغني الجوال " من بشرى، فقد بعثت بنسختك إضافة إلى مجموعة من المقالات

المكتوبة عن " الأيقونات والكونشيرتو " لصلاح فضل وصبحي حديدي وشوقي بزيع ..
سأكون سعيداً بما تكتبه عن الحديقة، لعله من أكثر النصوص التي وضعت إقلاقاً لي، ولا يبعث فيّ طمأنية كاملة، ثمة أخطاء في الطباعة حتى في عنوان الفصل الأول، وفي المتن، وفي انتظار ما وعدت من كتابة، لعلّي أطمئن، وأرحب جداً بكلمة الغلاف للمنمنات . وفيما بتعلّق بطباعة الرسالة، فلا يتعارض أن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب مع صدورها عن المؤسسة، افعل ذلك مع الاتحاد، وسأفعل بدوري لدى المؤسسة شخصياً سأضغط على الكيالي، وسيعمل على نشرها، يهمني أن أرى نسخة منها في أسرع وقت، لا بد تحضرها معك، فذلك أضمن لتأكيد الوصول.
وبعد،
أشتاق كثيراً لبغداد، للطرقات والشوارع، ولقليلين هناك، قليلين حتى لأراهم فيك وحدك، وصباح الخير
واسلم لتجيء

عمان 27 / 9 / 2001 **محمد القيسي**

العزيز محمد صابر عبيد

بالمحبة كلّها ،

ومعذرة ، لم أكتب سريعاً ، ذلك أن الطراغ يملؤني ، أحسّني فارغاً فيّ ، وأيّ بقعة جافة ، ثمة إحساس ما بغياب القدرة الفعلية على الكتابة ، لا أعني الشعر أو النصوص حسب ، فقد وصل الأمر إلى بعض الروايا الصحفية الملتزم بها أسبوعياً ، لكأني بتّ عاجزاً عن استعمال الورق والأصابع . ليس هذا مجازاً ، فبعد أنه فرغت مما أدعوه الصياغة النهائية للحديقة ، أو هكذا اظننت ، ووضعت اللمسات الأخيرة على عمل "المنمنمات" أو "منمنمات آلية" واستقلّا عن يديّ وأعصابي ، ورأيتهما على الطاولة أمامي لطيفين وجاهزين للموت ، حتى دبّ فيّ ما يشبه الحواء ، لكأنما أنهيت رسالتي وانتهيت من أعضائي وقبلي ، وعزّز كلّ هذا ما يشبه التلفاز من أخبار الدمار القادم ، الذي يستهدفنا أساساً ، فلماذا يستهدف الكتابة ويجرح الروح ، فما الذي سيظل لنا من معنى ، وكيف لا نتساءل عن جدوى كل شيء ، حيث تنتظرنا الهاوية الأعمق مما نحن فيه .. مع ذلك هطلت كلماتك الرهيفة ، بجملتها الشفافة وألقها ، لأذهب أبعد في طلب الكتابة ، رسالتك أيها العزيز ، ومثلها ثلاثة مدخّمات بالصور والدفق

(٢)

العشقي اللاهب ، من امرأة تقيم في سويسرا ، هي
عربية أيضاً ، ترافقني دوما هذه الرسائل الأربع ،
ومنزلها الحقيبة الأقرب إلى جهة القلب ، أحرزها على
طاولة المقهى ، أو البيت ، أرودها أكثر من مرة ، ولا
أخط شيئاً ، أمراها مجدداً ، لأعيدها إلى مخلفاتها
وأعود إليّ مثقلاً وحيرا . يحدث لي ذلك هذه الأيام ،
وأتألم ، حتى القراءة ، فلا أقع على كتاب ، أدخل في
صفحاته قليلاً أو كثيراً ، حتى ألقيه جانباً ، وآخذ آخر ،
هكذا دواليك ، حتى بتّ موزّعاً ما بين أكثر من أربعة ،
من "أجبار سقوط عرنالهة" ، لواشنطن ايرفنغ ، عبر روايا مسيحية
متشددة ، ولا تقارب في شيء رائعة (ذهب على الحمر) "مجنون الزا"
التي تتعامل مع الأحداث ذاتها بروح منصفة لمأساة ابي عبد الله
الصغير ، ولا حتى غالا في "المخطوط القرمزي" إلى "بابل
والكتاب المقدس" ، لجان بوتيرو المتخصص في الأشوريات ،
وهو محاورات معه في تاريخ الأديان المقارن ، إلى "المرايا
المقعرة - نحو نظرية نقدية عربية" ، للدكتور عبد العزيز
حمودة ويبدو كجزء تال للكتابة السابق "المرايا المحدبة" ،
الذي أثار فيه زوابع كثيرة حول البنيوية وتقادمها
ومثقفيها من العرب ، وفيه يحاكم ثقافة الشرخ ، ويعود
إلى التراث العربي النقدي ، مواصلاً حملته على نقلة المذاهب
والمدارس الفكرية الغربية إلى الواقع العربي الغريب عنها ،
إلى رواية الصيني الحائز على نوبل الأخيرة ، وهي "جبل روح"
وفيها من العذوبة والغرابة الكثير إضافة إلى المتعة ،

(٣)

وفي المكتبة الجديد الوحيد الذي أكلته، هو رواية «باولو كويلهو» الجديدة، «فيرونيكا تقرر أن تموت» وقد وصلني منه صفية باللغة الانجليزية، وهو عمل يدور حول أهمية الاستماع إلى عواطفنا كما يقول المؤلف، كلفت عليه وأرغمت نفسي على اتمامه من أجله. وقفت طويلاً امام فقرة فيه شدتني كثيراً، ذلك أنها أعادتني إلى مقاطع شبيهة في الصفحات الأخيرة من ملحمة جلجامش عن ما أذكر، عندما أكلة الحية عشبة الحياة التي أحضرها وهو يستحم، سأنقل لك هذه الفقرة لترى إلى أي مدى ذهب كويلهو في تأثره! وهي جملة واضحة إذا ما تغلبت على الشعر الأخضر!

[In the small and never used Library in Villete, Edward didn't find the Koran or Aristotle or any of the other philosophers that Mari had mentioned. He ~~found~~ found instead the words of a poet:

Then I said in my heart, As it happeneth to the fool
so will it happen even to me...
Go thy way, eat the bread with joy,
and drink thy wine with a merry heart;
for God hath already accepted the works.
Let thy garments be always white;
Live joyfully with the wife whom thou loves
all the days of the life of thy vanity,
which he hath given thee under the sun,

(٤)

all the days of thy vanity:
for that is thy portion in life,
and in thy labour wherein thou labourest
~~under the sun~~
under the sun...

Walk in the ways of thine heart,
and in the sight of thine eyes:
but know thou, that for all these
things
God will bring thee into judgement.

لا أعرف لماذا نقلت لك هذه الفقرة، الحقيقة كانت
في حوالي معي. سمعت ان هذه الرواية قد صدرت بالعربية،
سأبحث لك عن نسخة منها، هناك مكتبة في الصيدلي، تحفظ
منشورات "الهلال".

ما الذي يحدث لي، صرت لنفسي. أحتاج رجل بيت
ثلاث وجبات، أفرج لشراء الفاكهة والصحف، وألجأ إلى
المقهى ليلاً. وحدي، الأوراق معي، وكتاب الحقيبة، ولا
أكتب، أحك الصفحات وراء المقالات القصيرة. لقد مللت
صفية مني تماماً. قتلها البعد، الهواتف لا تملأ أن تضحي
الحياة في بيت، وحزين لذلك، تعبني فكرة انه لا
تكون هناك امرأة، ولا يكون حب يحرثني من جديد، ويعيد
تأثيثي، فأكون جد وحيد إذن وناشف كقصبة مقطوعة
لذا أشاعر كأني أهرب من جفافي، ليصعقني رعدها.
هكذا التقطتني من العقائد امرأة سويسرا، نقلت عنواني

⑤

من كتاب مُهدى لصديق هناك، شدّتها قصائد العنف والحب، قالت، هاتفتْ ثم كتبتْ، ولم تلفني بارعة، على أنها تصرّح بخطط الاحتفاظ بي، وتعمل الآن جاهدة وجادة من أجل ترتيب دعوة لي، يغريني ذلك، وأرى في الأمر ما يشبه السخرية، أو الدعابة المرّة، كأني أعيد تجربة لندن، بفارق أنه المدينة لوزان، ولا أعرف إن كانت هذه المرأة تملك هيوية تلك، إضافة إلى مواهبها، على أنها حرّة، ولا زوج غير ابنتين، وأنا كبرت ثمانية أعوام، أقول لي لم لا، مادامت تقول لن أخسر. يا للإغراء! ربما أفعلها، رغم أني ألعب في الوقت الضائع، ويا لمأساة الحياة، لماذا الشيخ بعد السبعين، يحتاج بالتأكيد إلى أكثر من حياة واحدة لرغباتنا وأحلامنا المجنونة.

قبل أسبوع قرأت لوركا كاملاً في محاولة لإعادة هيويتي في اللغة وإثارة الأحاسيس، ومن ثلاثة أيام ذهبت الى بيتي في الصيفية، حيث لا يسكنه أحد غير مكتبتي وكتبي الجاثمة هناك، نفضت عنها الغبار، وقرأت سان جون بيرس (أناباز، منفى، وقصائد أخرى) في ترجمة التونسي علي اللواتي، هذا عمل خضّني نهاية الثمانينيات في تونس، وبتأثيره كتبت وصنعت (كتاب حمدة) ها أنا أقرأه ينضجني. حملته معي إلى عمان، قلت لا بد سيبعث على هيويتي، ويدفعني للكتابة،

مرات عديدة مرات هذا الجمل من قبل ، وفي كل مرة يفصل
في سحره الأول . أدين لسانه هو به بدرس هذه المرة
أيضا في ردي على رسائلي المحمولة في الحقيبة ، وفي
ترثرتي هذه الطويلة معك ، أرغب أنه أظل الكتب
حتى النهار . قبل قليل ردد المؤذن حي على
الفلاح ، وصاح ديك ، جاري على الشارع شرع ،
والسكون تام ونمام .

أرى إلى رسالته ، وهذا الدفق الجميل في رصدها
للتفاصيل الصغيرة والحميمي ، وأراك تقيف حياة
ورغبة في احتضان البعيد ، سأراك لا بد إذن
في عمان . أمر جميل أنه تحضر أخيرا إلى مدينة
الإسمنت والحجر هذه ، الصلدة ، الخانقة ، المغلقة
القلب ، التي بلا قلب كما وصف حجازي ، لربما تعابر
سراها جميلة ، وتخدعك . لم لا ، في الخداع جمال
ما أيضا ، جمال مركون وغائب ، نراه بعد الوقوع .
كلامك حول مناقشة الرسالة وما حولها أشعرني بالحنين
من جديد ، على أني فرحت به وحزنت أكثر ، على ما
ألمني ، وألمني بالحياة ، حتى انبثق كل هذا القول الجريح
لا أعرف إذا كنت قد تحصلت على " الحنين الجوال "
من بحثي ، فقد لعبت بمخيلته ، اضافة إلى مجموعة
من المقالات المكتوبة عن " الانتفاضة والكوفية " ، لعلها
تفصل وصيحي حديدي وسوق بريع .. أكون سعيد

(٧)

بما تكتبه عن الحديقة، لعله من أكثر النصوص التي وصلت إقلاقاً لي، ولم يبعث في طمأنينة كاملة، ثمة أخطاء في الطباعة حتى في عنوانه الفصل الأول، وفي المتن، وفي استطراد واعدت من كتابة، لعلي أطمئنه، وأرجو هذا بكلمة الغلاف للمتنبي.

وفيما يتعلق بطباعة الرسالة، فلا يتعارض أن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب مع صدورها عن المؤسسة، أفضل ذلك مع الاتحاد، وسأفعل بدوري لدى المؤسسة شخصياً ما أضغط على الكيالي، وسيعمل على نشرها بعد أن أرى شيئاً منها في أسرع وقت، لا بد تحضرها فعلاً، فذلك أهم لتأكيد الوصال.

وبعد،

أشتاق كثيراً لبغداد، للزقاق والشوارع، ولقليلين هناك، قليلين حتى لأراهم ضيلاً وهدلاً، وصباح الخير.

واسلم لتجيء

محمد القيسي ١٩٧٢/٤/٣

ـ الرسالة الخامسة:
عمان 21 / 12 / 2001

الصديق العزيز محمد صابر عبيد
بالمحبة كلّها

حين تصل رسالتي هذه، يكون المربد المجيد قد ضبضب أوراقه، وآب الجميع إلى مواقعهم راشدين، لربما ثملين بما خطبوا وسجعوا، بينا من بعيد أرى بغداد تتململ مستعيدة ألق الصمت وعافيته الكبرى، بعد هذا الأسبوع من مرض الصراخ الثيم (لا بدّ) عائدة إلى التأمل من جديد في أحوال هذا النهر الذي لا يظلّ على حال، بينا لا تتزحزح الأشياء ولا تطرق أبوابها موجة، أو يغني يمام .

إذّاك إليك، أو تحصر كلماتي، وقد ذهبوا، وانتهى الحفل إلى صمت القراءة . ولسوف تعرف بعد ختام القول، أو بعد قراءة هذه القصيدة التي كتبت هذا اليوم، لماذا لم أحضر هذا العام إلى المربد، وربما لسنوات أخرى بعيدة، لربما لا أرى بغداد أو أجيئها فيما تبقّى من السنوات القليلة، ولا رغبة لديّ حقاً في أن يعرف أحد ألمي لذلك، وتفكّري الراهن في المكان الذي صار يبتعد، ولأقل إنهم خسروني، مثلما يخسر القلب أجمل فضاءاته، على أني أعرف أن بغداد تظلّ لي، مثلما يظلّ لي الناس الطيبون، بالشوارع والجسور التي تحنو على النهر الحزين . الآن أخنق عاطفتي، أمام من أخطأوا في حقي، واستمعوا إلى كتبة التقارير، دون أن يقرأوني حقيقة، وإلى يوم الدين يظلّون مدينين لي بالاعتذار .

الآن إليك القصيدة :

((رسالة المريض الأخير إلى غيره))

من عديد الأسابيعِ،
لا تطلعُ الشمسُ مَن شرفتي
وأوزّعني في المسافة ما بين مقعد نفسي
وبين صفير المراكب في البحرِ،
قبل يحينُ الغرقْ
أتداولُ حزن الزواج الضروريّ،
بين أصابع بنلوبَ والصوفِ،
لا تنتهي حياكته،
وهي ترجع كلّ صباحٍ إلى المبتدأْ
الزمان صدأْ
وطوال الأسابيعِ،
أقرأُ دورَ الغزاةِ على الأرضِ،
هذا النزوعَ إلى قشرِ أسمائها

وعلاماتها
وأرى
ربما يدفعون إلى البيتِ،
من فِرَقِ الموتِ،
واحدةً
لتجيءَ برأسي الوريثِ الوحيدِ،
على طبقٍ بعد هذا الغسقْ
بتُّ مستوحشاً
لا وظيفة لي خارجي
غير أني أعلّلني :
الغزاةُ على الأرض يطغونَ
ثم يغورونَ
فيها
تسيل الأسابيع عني
تسيل كعادتها
وأنا
في سريري المريض الأخيرُ،
أنازعُ قلبي،
وآكله على الورقْ

عمان 21 / 21 / 2001

عزيزي محمد،

حين قرأت رسالتك السابقة وعرفت أنه قيل لك ((خيرها في غيرها)) أدركت مدى الغربة الأليمة التي نعيش في عالمنا العربي، وأسفت أنه حتى مثل هذه الفرص يضيّعونها، وقلت لا بأس، يجيء المربد وأراك .. تلقيت الدعوة، كنت أدخل واحدة من أزماتي الحادّة، العزلة، العزلة في البيت، عن الناس والمعارف والشوراع، إذ إنهم بعد أن هدموا مقهى قرطاج، وكان عنواني اليومي، أحسست أنهم قد باتوا يجردونني حتى من هذه المباهج الصغيرة، وانصرفت إليّ، تحديقاً وقراءة، وإعادة نظر في كلّ شيء، نظرت في كل أوراقي القديمة منذ منتصف الستينات، ورحت أعمل، وإذ دنا موعد المربد، قلت أتدلّل قليلاً، فلعلّي لا أصعد في الباص المتعب، ويكون لي مثل ما يكون أحياناً لبعضهم، وهو السيارة الأكثر راحة في الطريق الطويل، سيما وأن ظهري من الجلوس بات يوجعني بين حين وحين .
وإذ خابرت السفارة شاكراً، ثم معتذراً بأمل أن يكون هناك إلحاح ما أو استفسار، فلم يكن وقيل لي شكراً، وأغلق الخط في وجهي . فوجئت، وما كنت أتوقع ذلك، أعدت الاتصال في شبه غضب، وسألت من على الهاتف، هل الذي كان معي منذ ثوان هو المستشار أم موظف آخر، فقيل لي المستشار الصحفي، وهو جديد هنا، طلبته ثانية، قلت له أنا فلان وقبل قليل شكرت على الدعوة واعتذرت، وكأني أقدّم بريداً ما، فما كان هناك أي استفسار، أو كلام لائق في مثل هكذا حالة، والافتقار إلى اللطف أمر غير محمود لأي مسؤول في مثل هذا

الموقع، وإذا بي كما لو كنت موظفاً صغيراً عنده، يرفع صوته، يعني ماذا تريد، هل قليل ما فعلته ونشرته في " الرأي "؟

فوجئت من جديد، وظننت أنه يقصد ما كتبته حول المربد الماضي، قلت له هذا رأي ثقافي، ولا يحقّ لأحد أن يحاسبني عليه، قبل نقاشه، قال ليس هذا، قلت ماذا إذن، قال "الحديقة السرية"، خطأ كبير ما عملته وفضائح، قلت ما دخلك أنت بالحديقة السرية؟ فأجاب بمنتهى الفظاظة وقلة الذوق: أنت تمارس البغاء في بغداد، وتحكي عن الماجدات العراقيات، وإذ أوضحت له بهدوء أنه ما من شخصية عراقية، ماجدة أو غير ماجدة في هذا العمل، أصرّ لا، أنت مخطىء، ثم صرخت فيه، ولك أن تتصوّر ما يمكن أن يكون عليه الحوار مع هكذا عقلية جامدة .. وفي الأخير إذا به يقول المهم أن وزارة الثقافة في بغداد قالوا لنا أن نلغي الدعوة، ضحكت في الهاتف، وقلت له حسناً إنني اتصلت أساساً لأعتذر، واعتذرت أولا، وأغلقت الهاتف .

هوذا ما حدث حرفياً ومخفّفاً، فماذا لو لم أعتذر وحملت حقيبتي باتجاه السفارة، ماذا كان يمكن أن يحدث ! يا الله ..

في رمضان كنت اتفقت وجريدة الرأي على نشر الرواية على حلقات، وبسعر ممتاز، يكاد يكون خليجياً، لأفاجأ بعد الحلقة الثالثة أن أوقفوا النشر، وأن هناك احتجاجات ضدّي وضد الرواية أو ما نشر منها بحجة أنها تتحدث عن الجنس، أثارته جهات إسلامية وبعض تيارات خاصة في الجريدة، ما اهتممت للأمر، لأعرف بعد مهاتفة السفارة، وبعد استتقصاءات داخل الجريدة، أن الاحتجاج الأساس على النشر كان من السفارة، من المستشار السابق الذي أثارها وكان يزعم أنه صديق ويلحّ عليّ دوماً أن نلتقي، وأن تقارير كتبت إليهم، فكان الاحتجاج بشدّة، ولذا أوقفت الجريدة النشر .

شكراً إذن، شكراً لمن منحتهم أعصابي وقلقي وموقفي، وكسبت من جرّاء ذلك عداوات كثيرين، خليجيين، وعراقيين، بصحفهم ومنابرهم، وأقول شكراً لحبي، وهو يخذلني، ولا عجب .

أرأيت؟ قلت لي في رسالتك معلّقاً على ما حدث بشأن سفرك، إننا بحاجة إلى التفاهة أحياناً، ولا بأس أن تحسب ـ وأحسب مثلك ـ أنّ للتفاهة شعرية، وربما فلسفة أيضاً، وأستدرك إنما أية شعرية هذه وفلسفة ! لكن، آه لا بدّ لها فلسفة بالتأكيد .

فعلاً كنت مشتاق لبغداد، وإلى أن نلتقي، كنت أرغب أن أواصل حديث الرسالة السابقة، والكشف الأبعد عما يعذبني، في مسألة الحياة والموت والكتابة والقصيدة وجدوى كل ذلك، وأن أصغي إليك، وفاجأتْ كسلي رسالتك الأخيرة، رسالتك التي لا كلام، ولا مرحباً، وخجلت مني، على أني أعرف أن حواراتي معك لا تنتهي إذ لا أجيء الورق، أولاً أكتب، إذ أكون أنتظر، أنتظر وأحكي معك غالباً، أقول الرسالة مهمة وواجبة لمن نحب، وأقول الصمت أيضاً، الصمت الذي ليس غير الكلام، لغة أخرى هو الآخر، غير مكتوبة أو مرسلة، إنما لا بدّ أن تُحسّ، ويصغي إليها من البعيد، أحسّ كثيراً كلام صمتك وأصغي في عولتي إليه .

تصرخ رلى ابنتي، أخرج يا بابا، إذهب إلى الشوارع، إمش فقط، وابحث عن مقهى آخر . لا رغبة لي في ذلك أقول، وأنا أعني أني بحاجة إليهم أكثر، أراهم، وأحكي أحياناً معهم، معوّضاً ما فات، لا، ليس ذلك، أنا أحسّ تماماً باقتراب

الغياب، وأحسّ أخيراً بفداحة مسؤولية الأب . لم أترك لهم بيتاً، كيف سيدفعون الأجرة الشهرية للسكن، بعدي، من يسدّد أقساط الجامعة لدالية وخليل، هذه مسألة ترهقني حقيقة، وأتعذّب، لكأني سأغيب هذه السنة، فأحبهم، وإذ أسافر إلى الشام، لا تهدأ هواتفي إليهم، أهرب من رتابة عمان، لكني أعود بسرعة محمّلاً بحبي، مثلما أشقى لأن نساء كثيرات لن يتاح لي أن أعانقهن، والأهم أن يحببنني .. كل شيء يذهب إلى الأسوأ، العالم والمفاهيم، والذات إلى همودها، بينا لا يهدأ الأوار فيّ إلى كل المباهج الأرضية، مثلما لم تشف كزنتزاكي، لا الفلسفة ولا الدين أو الفن ولا لينين من مرضه وظمأه الروحي، ما دام لم يخلق دينه الخاص (أقرأ هذه الأيام " المنشق " سيرة حياته بقلم زوجته) .

فقط، مقالتك عن الأيقونات والكونشيرو، وحواري مع نيران مقصوصاً من الجريدة، بحثت عن ورقة أخرى، ثم تساءلت : كيف أبحث عن شيء آخر أمام كلّ هذا الغنى، إنها ضاجّة بنص غائب، مقروء جداً، إضافة إلى جهد المقالة وحرصك على كلامي السيّار، حتى يعود لي.

وياصاحبي وعزيزي ومن تبقّى لي من رائحة بغداد هناك، أنتظر أن يصلني كتابك عن السيرة الشعرية، لأحكي فيه، ولا بدّ أن يصدر مثلما ترغب، أنتظر، وأرجو أن تكون بعثته لي مع أحدهم ممن حضروا المربد، كما أنتظر نسخة من رسالة الماجستير، ومثلما ترغب، سواء في المؤسسة أو اتحاد الكتاب العرب، على أن تشفعها بورقة إلى الاتحاد كإعلان رغبة النشر عن الاتحاد، ولك أن أدفعها سريعاً، وأعمل على تسريع القراءة، المهم أن ترسل لي كل ذلك، وأن يكون مضمون الوصول، وتأكد من حرصي على كل ما ترغب، مع محبتي في القيام بكل هذا .. أعتقد كما ترى أن كتاب السيرة مطلوب هذه الأيام ومرغوب فيه من قبل دور النشر، فلا تتهاون . وأنتظرك .

بالنسبة لي، الحديقة في طريقها إلى الصدور عن دار الآداب، أما عن منمنات أليسا، فبعد لا أعرف، إنما لا بدّ من صدورها العام 2002، منتصف الشهر القادم أسافر إلى القاهرة لمعرض الكتاب، صدرت لي هناك مختارات شعرية أخرى بعنوان ((صحيح العليل))، رجاءً تعجّل في إرسال المخطوط، أريد أن أفعل لك شيئاً في ذلك

واسلم، مع اقتراب رأس السنة فكلّ عام وأنت والعائلة بخير
محبتي لك، لبغداد التي جمعت أوصالنا من الكتابة .

محمد القيسي

عمان ٢١/ ٢/ ١٩٨٣

الصديق العزيز محمد صابر عبيد

بالمحبة كلها

حين تصل إليك رسالتي هذه ، يكون المريد المجيد قد ضبضب أوراقه ، وآب الجميع إلى مواقعهم راشدين ، ربما ثملين بما خطبوا وسجعوا ، بينما من بعيد أرى بغداد تتململ مستعيدة ألق الصمت وعافيته الكبرى ، بعد هذا الأسبوع من مرض الصراخ الأثيم (لابدّ) عائدة إلى التأمل من جديد في أحوال هذا النهر الذي لا يظل على حال ، بينما لا تتزحزح الأشياء ولا تطرق أبوابها موجة ، أو يغني يمام .

إذا جاء الليل ، أو تحضر كلماتي ، وقد ذهبوا ، وانتهى الحفل إلى صمت القراءة ولسوف تعرف بعد ختام القول ، أو بعد قراءة هذه القصيدة التي كتبت هذا اليوم ، لماذا لم أحضر هذا العام إلى المربد ، وربما لسنوات أقرن بعيدة ، لربما لا أرى بغداد أو أجيئها فيما تبقى من السنوات القليلة ، ولا رغبة لديّ هكذا في أن يعرف أحد ألمي لذلك ، وتفكيري الراهن في المكان الذي صار يبتعد ؛ ولأقل إنهم خذلوني ، مثلما خسر القلب أجمل فضاءاته ، على أني أعرف أن بغداد تظل لي ، مثلما يظل لي كل الناس الطيبين ، بالشوارع والجسور التي حنو على النهر الحزين . الآن أعتذر عالطفة ، أمام من أخطأوا في حقي ، واستمعوا إلى كتبة التقارير ، دون أن يقرأوني حقيقة ، وإلى يوم الدين يظلون مدينين لي بالاعتذار .

الآن إليك القصيدة :

رسالة المريض الأخير إلى نخيره

من عديد الأسابيع ،
لا تطلع الشمس من شرفتي
وأوزعني في المسافة ما بين مقعد نفسي

٧

وبينَ صفيرِ المراكبِ في البحرِ ،
قبلَ حينِ الغرقْ

أتداولُ حزنَ الزواجِ الضروريِّ ،
بينَ أصابعِ بنلوبَ والصوفِ ،
لا تنتهي من حياكتِهِ ،
وهي ترجعُ كلَّ صباحٍ إلى المبتدأْ
الزمانُ ضدأْ

وطوالَ الأسابيعِ ،
أمرأُ دورَ الغزاةِ على الأرضِ ،
هذا التروعَ إلى قعرِ أسمائها
وعلاماتها
وأرى
ربما يدفعونَ إلى البيتِ ،
من فرقِ الموتِ ،
واحدةً
لتجيءَ برأسي الوريثِ الوحيدِ ،
على طبقٍ بعد هذا الغرقْ

بنتٌ مستوحاةٌ
لا وظيفةَ لي خارجي
غيرَ أني أعللني :
الغزاةُ على الأرضِ يطعمونَ
ثم يغورونَ
فيها

٣

تسيل الأسابيع عني
تسيل كعادتها
وأنا
في سريري المريض الأخير ،
أنازع قلبي ،
وآكله في الورق .

عمان ٢١/١٢/١٩٩٠

عزيزي محمد ،

حين قرأت رسالتك السابقة وعرفت انه قيل لك " خيرها في غيرها " أدركت مدى الغربة الأليمة التي نعيشها في عالمنا العربي ، وأسفت انه حتى مثل هذه الفرص يضيعونها ، وقلت لا بأس ، يجيء المريد وأراك .. تلقيت الدعوة ، كنت أدخل واحدة من أزماني الحادة ، العزلة ، العزلة في البيت ، عن الناس والمعارف والشوارع ، إذ انهم بعد أن هدموا معهم حرطاج ، وكان عنواني اليومي ، أحسست انهم قد بدأوا يجردونني حتى من هذه المباهج الصغيرة ، وانصرفت إليّ ، تحديقاً وقراءة ، وإعادة نظر في كل شيء ، نظرت في كل أوراقي القديمة منذ منتصف الستينات ، ورحت أعمل ، وإذ دنا موعد المريد ، قلت أتدلل قليلا ، فلعلي لا أصعد في الباص المتعب ، ويكون لي مثل ما يكون لجاناً لبعضهم ، وهو السيارة الأكثر راحة في الطريق الطويل ، سيما وان ظهري مع الجلوس باتا يؤجعني بين حين وحين . وإذ غابرت السفارة شاكراً ، ثم معتذراً بأمل أن يكون هناك إلحاح ما أو استعمار ، فلم يكن وقيل لي شكراً ، وأغلق الخط في وجهي . فوجئت ، وما كنت أتوقع ذلك ، أعدت الاتصال في شبه غضب ، وسألت من على الهاتف ، هل الذي كلمه معي منذ ثوان هو المستشار أم موظف آخر ، فقيل لي المستشار الصحفي ، وهو هديد هنا ، طلبته ثانية ، قلت له أنا فلان وقبل قليل شكرت على الدعوة واعتذرت ، وكأني كنت أقدم بريداً ما ، مما كان هناك أي استعمار ، أو كلام لائق في مثل هكذا حالة ، والافتقار إلى اللطف

أمر غير محمود لأي مسؤول في مثل هذا الموقع ، وإذا بي كما لو كنت موظفاً صغيراً عنده ، يرفع صوته ، يعني ماذا تريد ، هل قليل ما فعلته ونشرته في "الرأي"؟ فوجئت من جديد ، وظننت أنه يقصد ما كتبته حول المربد الماضي ، قلت له هذا رأيي ثقافي ، ولا يحق لأحد أن يحاسبني عليه ، قبل نقاشه ، قال ليس لهذا ، قلت ماذا إذن ، قال "الحديقة السرية" ، خطأ كبير ما عملته وفضائح ، قلت ما دخلك أنت بالحديقة السرية ؟ فأجاب بعنجهية الفاظة وقلة الذوق : أنت تمارس لبغداد في بغداد ، وتحكي عنه الماجدات العراميات ، وإذ أوضحت له بهدوء أنه ليس شخصية عرامية ، ماجدة اوماجدا في هذا العمل ، أصرّ لا ، أنت مخطئ ، ثم صرخ فيه ، وكأنه تصوّر ما يمكن أن يكون عليه الحوار مع هكذا عقلية جامدة .. وفي الأخير إذا به يقول المهم أن وزارة الثقافة في بغداد قالوا لنا أنه ملغي الدعوة ، ضحكت في الهاتف ، وقلت له حسناً أن اتصلت أساساً لأعتذر ، واعتذرت أولا ، وأغلقت الهاتف .

هو ذا ما حدث حرفياً ومختصراً ، فماذا لو لم أعتذر وحملت حقيبتي باتجاه السفارة ، ماذا كان يمكن أن يحدث ! يا الله ..

في رمضان كنت التقيت وجريدة الرأي على نشر الرواية على حلقات ، وبعد ممتاز ، يكاد يكون خليجياً ، لأفاجأ بعد الحلقة الثالثة أن أوقفوا النشر ، وأن هناك احتجاجات ضدي وضد الرواية أو ما نشر منها بحجة أنها تتحدث عن الجنس ، أشارته جهات إسلامية وبعض سيارات خاصة في الجريدة ، ما اهتممت لذلك ، لأعرف بعد مهاتفة السفارة ، وبعد استقصاءات داخل الجريدة ، أن الاحتجاج الأساسي على النشر كان من السفارة ، من المستشار السابق الذي أثارها وكان يزعم أنه صديق وبلغ علي دوماً أنه يلتقي ، وأنه يقارر كتبته إليهم ، فكان الاحتجاج بشدة ، ولذا أوقفت الجريدة النشر .

شكراً إذن ، شكراً لمن منحتهم أعصابي وقلقي وموقفي ، وكسبت من جراء ذلك عداوات كثيرين ، خليجيين ، وعراميين ، بصحفهم ومنابرهم وأقول ، شكراً لكبيه ، وهو يخذلني ، ولا عجب .

أرأيت ؟ قلت لي في رسالته معلقاً على ما حدث لي بشأنه العزيز إننا

٥

بحاجة إلى التفاهة أحياناً ، ولا بأس أن تحب - وأحب مثلك - أنا للتفاهة شعرية ، وربما فلسفة أيضاً ، وأستدرك إنما أي شعرية هذه وفلسفة! لكن ، آه لابدّ وأن لها فلسفة بالتأكيد .

فعلاً كنت مشتاقاً لبغداد ، وقبل أن ألتقي ، كنت أرغب أن أواصل حديث الرسالة السابقة ، وأكشف الأسباب عما يعذبني في مسألة الحياة والموت والكتابة والقصيدة وجدوى كل ذلك ، وأن أصغي إليك ، وفاجأتْ كلي رسالتك الأخيرة ، رسالتك التي لا كلام ، ولا مرحباً ، وخجلت مني ، لك أني أعرف أن حواراتي معك لا تنتهي إذ لا أجيء إلا ورق أود الكتب ، إذ أكون أنتظر ، أنتظر وأحكي معك غالباً ، أقول الرسالة مهمة وواجبة لمن كتب ، وأقول الصمت أيضاً ، الصمت الذي ليس عن الكلام ، بل لغة أخرى هو الآخر ، غير مكتوبة أو مرسلة ، إنما لا بدّ أن تحسّ ، وتُصغى إليها من البعيد ، أحسّ كثيراً كلام صمتك ، وأصغي في عزلتي إليه . تصرخ بي رلى ابنتي ، أخرج يابا ، إذهب إلى الشوارع افعل شيئاً ، واجعل من مهمة أخرى . لا رغبة لي في ذلك أقول ، وأنا أعني أني بحاجة إليهم أكثر ، أراهم ، وأحكي احياناً معهم ، هوّضنا ما فات ، لا ، ليس ذلك ، أنا أحسّ تماماً بأهمية الغياب ، وأحسّ أخرى بفداحة مسؤولية الأب . لم أترك لهم بيتاً ، كيف سيدفعون الأجرة الشهرية للسكن ، بعدي ، من يسدّد أقساط الجامعة لدالية وخليل ، هذه مسألة ترهقني حقيقة ، وأتعذب ، لكني أنحني اليهم ، أهرب من رتابة عمان ، لكن أعود بسرعة محمّلاً بحبي ، مثلهم أشقى لأن شاء كثيرات لن يتاح لي أن أعانقهن ، والأهم أن يحببنني .. وكل شيء يذهب إلى الأسوأ ، العالم وملفاتهم ، والذات إلى همودها ، بينما لا يهدأ الأوار في إلى كل الجهات هي الأرضية مرضه وظمأه الروحي ، مادام لم يخلق دينه الخاص . (أقرأ هذه الأيام "المنسق" سيرة حياة بقلم زوجته) .

فقط ، مقالاته عن الايقونات والكونشيرتو ، وحواري مع نيران مخصوصاً من
الجريدة ، بحثت عن ورقة الزن ، ثم سألتك : كيف أبحث عن شيء
أمام كل هذا الغنى ، إنها ضالة بيضاء غائبة ، مفقودة جداً ، إنها
إلى جهد المقالة وهرجك على كلامي السيّار ، حتى يعود لي .

ويا صاحبي وعزيزي ومن تبقّى لي من رائحة بغداد هناك ، أ
انه وصلني كتابك عن السيرة الشعرية ، لأهنئك منه ، ولا بدّ ان
يصدر منها ترجمة ، انتظر ، وارجو ان تكون بحثته لي مع
أحدهم ممن حضروا المربد ، كما انتظر نسخة من رسالة
الماجستير ، ومنها ترجمة ، سواء في المؤسسة أو اتحاد الكتا
العرب ، على ان تضعها بورقة إلى الاتحاد كإعلان رغبة الت
عن الاتحاد ، ولك أن أدفعها سريعاً ، وأعمل على تسريع الق
المهم انه ترسل لي كل ذلك ، وانه يكون مضمون الوصول
وتأكد من حرصي على كل ما ترغب ، مع محبتي في القيام بك
هذا .. أعتقد كما ترى انه كتاب السيرة مطلوب هذه الأيام وهي
منه من قبل دور النشر ، فلا تتهاون . وانتظرك .
بالنسبة لي ، الحديقة في طريقها إلى الصدور عن دار الآداب ، أ
منتصف الشهر القادم أسافر الى القاهرة لمعرض الكتاب ، صدرت
هناك مختارات شعرية افرد بعنوان "صحيح العليل" ، رجاء تعجّل
في إرسال المخطوط ، أريد انه أفعل لك شيئاً في ذلك .
واسلم ، مع اقتراب رأس السنة فكل عام وانت والعائلة بخ
محبتي لك ، لبغداد التي جمعت أوصالنا من الغربة .

سيرة ذاتية وعلمية

ـ أ . د . محمد صابر عبيد

مواليد: زمّار/الموصل.

ـ دكتوراه في الأدب العربي الحديث والنقد عام 1991/ جامعة الموصل.
ـ حصل على درجة الأستاذية عام 2000 .
ـ أستاذ النقد الأدبي الحديث في الدراسات الأوليّة .
ـ أستاذ النظرية والمناهج النقدية الحديثة والنقد التطبيقي في الدراسات العليا.
ـ أشرف على عدد كبير من رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه، وناقش عدداً كبيراً أيضاً في مختلف الجامعات العراقية والعربيّة .
ـ شارك في أكثر من مائة مؤتمر وندوة في الجامعات والمؤسسات الثقافية والفكرية داخل العراق وخارجه.
ـ أنجز أكثر من خمسين بحثاً علمياً نشر في المجلات الأكاديمية المحكّمة في مختلف الجامعات العراقية والعربية.
ـ نشر مئات المقالات والدراسات في مختلف الدوريات العربية.
ـ اختير محكّماً في أكثر من مسابقة أدبية عربية.
ـ عضو هيئة استشارية في بعض المجلات الأدبية.
ـ عضو الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.
ـ عضو الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب.
ـ عضو اتحاد الكتاب العرب.
ـ عضو رابطة القلم الدولية.
ـ عضو مؤسّس في جماعة المشروع النقديّ الجديد في العراق.
ـ حظي بالتكريم لسنوات عديدة بوصفه أفضل أستاذ متميّز في الجامعة في النشر والتأليف.
ـ حظي بالتكريم من مؤسسات ثقافية وأكاديمية عديدة.
ـ رئيس تحرير مجلة (شرفات) الثقافية الصادرة في الموصل/العراق
ـ يشرف على ورشة نقدية وبحثية من الأكاديميين والنقاد العراقيين والعرب، صدر عنها من إعداده ومشاركته وتقديمه أكثر من خمسة عشر كتاباً نقدياً في دمشق وعمّان وبيروت والقاهرة وتونس.

ـ فاز بجوائز عديدة منها:

ــ الجائزة الأولى في مسابقة الشارقة للإبداع العربي – الدورة الثانية 1998 في مجال (النقد الأدبي)، عن كتابه ((السيرة الذاتية الشعرية)).

ــ جائزة الاتحاد العام للأدباء والكتاب العراقيين في مجال (النقد الأدبي) عام 2000 عن كتابه ((المتخيّل الشعري)).

ــ جائزة الدولة التقديرية (الإبداع) عام 2002 في مجال (النقد الأدبي) عن كتابه ((القصيدة العربية الحديثة)).

ــ الجائزة الثانية لمسابقة ((ديوان)) للشعر العراقي 2005 عن ديوانه ((عشب أرجواني يصطلي في أحشاء الريح)).

ــ جائزة الإبداع في مسابقة ناجي نعمان العالمية في بيروت عام 2009 عن ديوانه ((لا باب سوى بابي)).

ـ صدر له أكثر من خمسين كتاباً في النقد والشعر أهمها:

1- السيرة الذاتية الشعرية ، قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية، الشارقة، الإمارات، 1999.

طبعة ثانية، عالم الكتب الحديث، إربد، دار جدارا للكتاب العالمي، عمان، 2007

2- القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، 2001. .

طبعة ثانية، عالم الكتب الحديث، أربد، دار جدارا للكتاب العالمي، عمان، 2009

3- الشعر العراقي الحديث، قراءة ومختارات، أمانة عمان، عمان، 2002.

4- تمظهرات التشكل السير ذاتي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005 .

طبعة ثانية، عالم الكتب الحديث، إربد، دار جدارا للكتاب العالمي، عمان، 2009

5- رؤيا الحداثة الشعرية، منشورات أمانة عمان، عمان، 2006 .

طبعة ثانية، عالم الكتب الحديث، إربد، دار جدارا للكتاب العالمي، عمان، 2012

6- مرايا التخييل الشعري، سلسلة كتاب الرياض (140)، الرياض ، 2006 .

طبعة ثانية، عالم الكتب الحديث، إربد، دار جدارا للكتاب العالمي، عمان، 2007

طبعة ثالثة، دار مجدلاوي، عمان، 2011 .

7- تأويل رؤيا الحكاية - في تمظهرات الشكل السردي - ، دارالحوار، اللاذقية، ط1، 2007 .

طبعة ثانية، عالم الكتب الحديث، إربد، دار جدارا للكتاب العالمي، عمان، 2011

8- المغامرة الجمالية للنص الشعري، دار الكتب الحديث، إربد، دار جدارا للكتاب العالمي، عمان، 2007 .

9 - صوت الشاعر الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2007 .

طبعة ثانية، عالم الكتب الحديث، إربد، دار جدارا للكتاب العالمي، عمان، 2011

10- عضوية الأداة الشعرية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمّان، 2007 .

طبعة ثانية، منشورات كتاب الصباح، بغداد، 2009 .

طبعة ثالثة، عالم الكتب الحديث، إربد، دار جدارا للكتاب العالمي، عمان، 2011

11- أطياف ممدوح عدوان، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2008 .

12- شعرية الحجب في خطاب الجسد، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 2008 .

طبعة ثانية، دار الحوار،اللاذقية، 2011 .

13- المغامرة الجمالية للنص القصصي، عالم الكتب الحديث، إربد، دار جدارا للكتاب العالمي، عمان، 2009 .

14- شيفرة أدونيس الشعرية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009 .

15- المغامرة الجمالية للنص الروائي، عالم الكتب الحديث، إربد، دار جدارا للكتاب العالمي، 2009 .

16- العلامة الشعرية- بحث في تقانات القصيدة الحديثة، المغامرة الجمالية للنص الروائي، عالم الكتب الحديث، إربد، دار جدارا للكتاب العالمي، 2009 .

17- الفضاء التشكيلي لقصيدة النثر، دار الشؤون الثقافة العامة، بغداد، ط1، 2010.

طبعة ثانية، عالم الكتب الحديث، إربد، دار جدارا للكتاب العالمي، 2010 .

19- تأويل النص الشعري، عالم الكتب الحديث، إربد، دار جدارا للكتاب العالمي، 2009 .

20- سيرة الجسد وصهيل المطر الجريح ـ هذه رسائلي، عالم الكتب الحديث، إربد، دار جدارا للكتاب العالمي، 2009 .
21- هكذا أعبث برمل الكلام ـ هذه قصائدي، عالم الكتب الحديث، إربد، دار جدارا للكتاب العالمي، 2009 .
22- سيمياء الموت ـ قراءة في تجربة محمد القيسي، دار نينوى للنشر والتوزيع، دمشق، 2010 .
طبعة ثانية، عالم الكتب الحديث، إربد، دار جدارا للكتاب العالمي، 2012 .
23- اللغة الناقدة ـ مقاربات إجرائية في نقد النقد، دار الحوار، اللاذقية، ط1، 2011 .
24- المغامرة الجمالية للنص السيرذاتي، عالم الكتب الحديث، إربد، دار جدارا للكتاب العالمي، عمان، ط1، 2010 .
25- التجربة والعلامة القصصية، عالم الكتب الحديث، إربد، دار جدارا للكتاب العالمي، عمان، ط1، 2010 .
26- التشكيل السرديّ، المصطلح والإجراء، دار نينوى للنشر والتوزيع، دمشق، 2010.
27- التشكيل الشعريّ، الصنعة والرؤيا، دار نينوى للنشر والتوزيع، دمشق، 2011.
28-التشكيل السيرذاتيّ، التجربة والكتابة، دار نينوى للنشر والتوزيع، دمشق، 2012.
29- القصيدة الرائية، قراءة في شعرية رعد فاضل، دار الحوار، اللاذقية، 2011 .
30- المغامرة الجمالية للنص الأدبيّ ـ دراسة موسوعية ـ، دار لبنان ناشرون، بيروت، دار لونجمان قسم النشر العربي، القاهرة، 2012 .
31- الفضاء الشعريّ الأدونيسيّ، دار الزمان للنشر والتوزيع، دمشق، 2012
32- استراتيجيات الخطاب الشعريّ، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط1، 2012
33- الرواية الرائية، دار نقوش عربية، تونس، ط1، 2012
34- الراوي المتماهي مع مرويه، قراءة في سرد الذات للقاسمي، منشورات القاسمي، الشارقة، ط1، 2012
35- التشكيل النصّي، سلسة كتاب الرياض (179)، الرياض، ط1، 2013
36- تجلّي الخطاب النقديّ، من النظرية إلى الممارسة، دار ضفاف، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الأمان، الرباط، ط1، 2013

37- الـذات الســاردة، سـلطة التــاريخ ولعبــة المتخيّـل، دار نينــوى للدراســات والطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2013
38- حركيــة العلامــة القصصــية، جماليــات الســرد والتشــكيل، المؤسســة الحديثة للكتاب، بيروت، ط1، 2013.
39 ـ النص الرائي، المؤسسة الحديثة للكتاب، بيروت، ط1، 2014.
40 ـ التنــوير الروائــيّ، عــالم الكتــب الحــديث، إربــد، دار جــدارا للكتــاب العالمي، عمان، ط1، 2015.
41 ـ بلاغــة المتخيّــل الميراثــيّ، دار ضــفاف، بيــروت، منشــورات الاختلاف، الجزائر، دار الأمان، الرباط، ط1، 2015.
42 ـ مقدمــة فــي نظريــة القــراءة والتلقّــي، الــدار العربيــة للعلــوم ناشــرون بيروت، ط1، 2015.

ـ صدر عن تجربته الشعريّة والنقديّة:

1 - شـظايا المـاس ـ قـراءة جماليـة فـي رسـائل حـب بـالأزرق الفـاتح ـ، مصطفى مزاحم، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 2009 .
2 - طــائر الفينيــق، محمــد صــابر عبيــد الشــاعر الناقــد، (كتــاب مشــترك) إعـداد د. خليـل شـكري هيـاس، أسـهم فيـه أكثـر مـن عشـرين ناقـداً وشـاعراً وباحثاً عربياً، دار تموز للنشر والتوزيع، دمشق، 2012
3- النافـذة والـريح، إضـاءات فـي تجربـة محمـد صـابر عبيـد الإبداعيـة، إعـداد وتقـديم د. محمـد صـالح رشـيد الحـافظ، دار تمـوز للنشـر والتوزيـع، دمشـق، 2012
4- أنفــاس الغابــة، حــوارات منتخبــة، محمــد صــابر عبيــد الشــاعر الناقــد، إعـداد وتقـديم طـلال زينـل سـعيد، دار نينـوى للدراسـات والنشـر والتوزيـع، دمشق، ط1، 2012
5- فضــاء التشـكيل الشـعري، دراسـة فـي شـعر محمـد صـابر عبيـد، محمـد يـونس صــالح، عــالم الكتــب الحــديث، إربــد، دار جــدارا للكتــاب العــالمي، عمّان، .ط1، 2012
6- عتبـات الكتابـة النقديـة، بحـث فـي مدوّنـة محمـد صـابر عبيـد النقديـة، د. سوسن البياتي، منشورات قصر الثقافة والفنون، صلاح الدين، 2013
7- البنيــات الدالــة فــي شــعر محمــد صــابر عبيــد، زينــب خليــل مزيــد، دار تموز للنشر والتوزيع، دمشق، 2012
8- تفكيــك الشــفرة الســردية، دراســة تحليــل الخطــاب، د. نبهــان ســعدون الحسـون، عـالم الكتـب الحـديث، إربـد، دار جـدارا للكتـاب العـالمي، عمّـان، ط1، 2013

9- دلالـة الإيقـاع وإيقـاع الدلالـة، قـراءة فـي شـعر محمـد صـابر عبيـد، موفـق الخـاتوني، دار نينوى للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 2013.

10- رسـائل بـالأبيض والأسـود، إعـداد وتقـديم طـلال زينـل سـعيد، منشـورات ضـفاف، بيـروت، منشـورات الاخـتلاف، الجزائـر، دار الأمـان، الرباط، ط1، 2013

11 ـ أحـلام حـارس الهـواء، حـوارات، حـاوره د. أحمـد شـهاب، دار تمـوز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2013

12 ـ تقانـات التعبيـر الشـعريّ، د. فـاتن عبـد الجبـار، كتـاب (شـرفات 8)، منشورات شرفات، الموصل، 2013

13 ـ فلسـفة النقـد، مـن النظريـة إلـى الإجـراء، د. أحمـد عبـد الكـريم، عـالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2015

14 ـ الخطـاب النقـدي المغـامر، د. أحمـد شـهاب، عـالم الكتـب الحـديث، الأردن، ط1، 2015

15 ـ تُكتـب عـن أعمالـه النقديـة والشـعرية ثـلاث أطـاريح دكتـوراه وثـلاث رسائل ماجستير في الجامعات العراقية والعربية.